وزارةالتعليم العالـــي و البحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

الحياة الإجتماعية والثقافية بتونس العثمانية من خلال كتاب: "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" للشيخ أبي راس الناصر

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر

تخصص تاريخ الدولة العثمانية (1924/1453)

من إعداد الطالبتين :

سمية خمال

عائشة ربوح

تحت إشراف الأستاذ:

د. حسان بلعيد

السنة الجامعية 2021م /2022م

وزارةالتعليم العالـــي و البحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

الحياة الإجتماعية والثقافية بتونس العثمانية من خلال كتاب: "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" للشيخ أبي راس الناصر

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر

تخصص تاريخ الدولة العثمانية (1924/1453)

من إعداد الطالبتين :

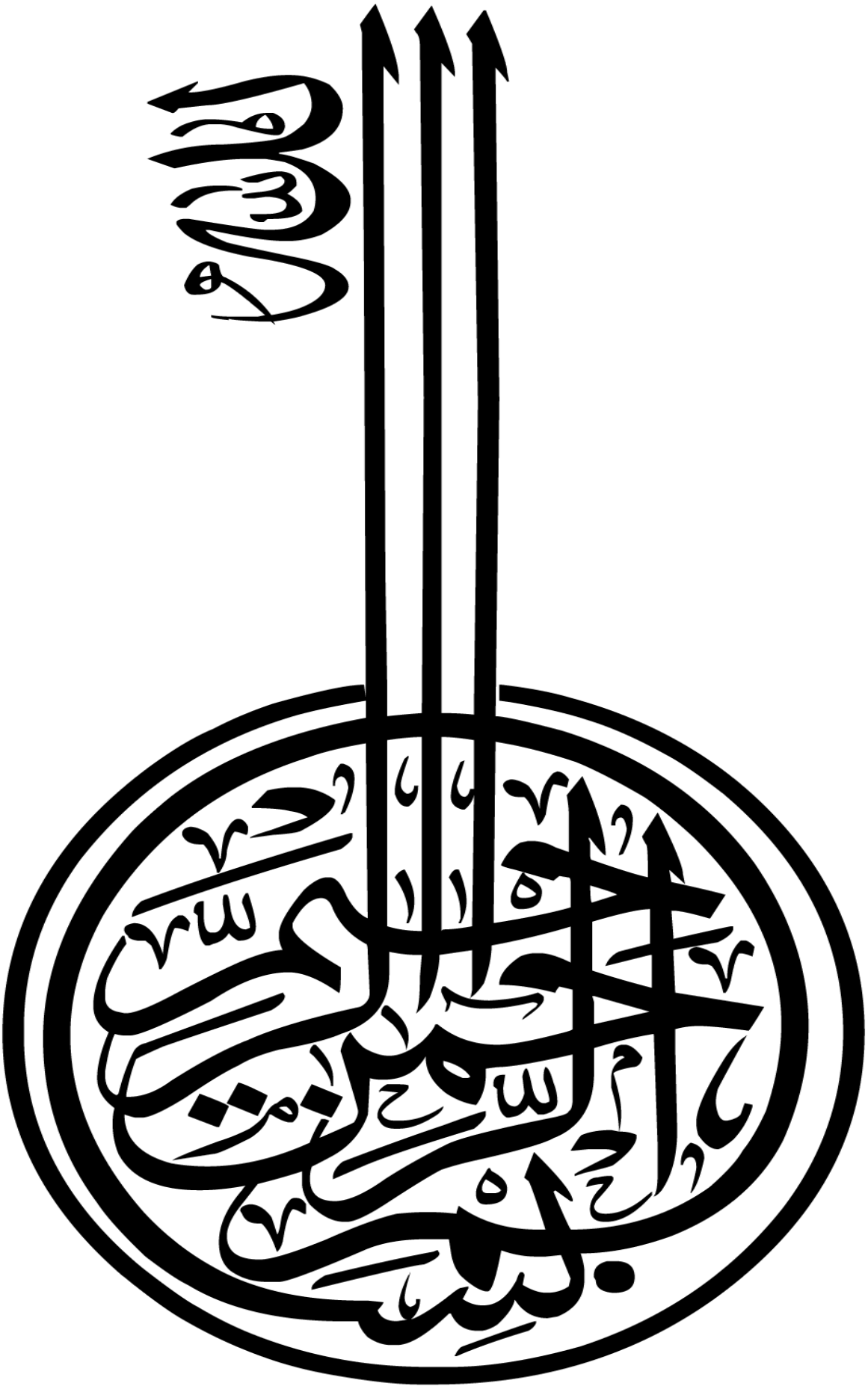
سمية خمال

عائشة ربوح

تحت إشراف الأستاذ:

د. حسان بلعيد

السنة الجامعية 2021 /2022



الـشـكـر والـعـرفـــان:

لابد لنا ونحن نخطو خطوتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة ندعو بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير ولم يبخلوا علينا من فيض عطائهم قبل أن نمضي ....

نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والمحبة إلى كل من مهد لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل

نخص بالتقدير والشكر: الأستاذ الدكتور المشرف حسن بلعيد الذي ساعدنا بتوجيهاته القيمة ونصائحه النيرة طيلة فترة البحث، فله منا خالص الشكر والإمتنان.

إلى من تذوقنا معهم أجمل اللحظات، إلى من جعلهم الله إخوتنا في الله– زملاء الدراسة–

سمية–عائشة

الإهـــــــــــداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى:

_ أمي التي سهرت الليالي الأنام في الأمان، أمي التي لو أعطيتها كل ما في هذه الدنيا ما وفيت أجرها، إليك يا أمي يا أعز ما أملك.

_ إلى الذي لم يبخل علي بشيء إحتجته، إلى من سهر وتعب من أجل راحتي، إليك يا نبع العطاء ورمز العمل والصرامة، إليك يا أعز مخلوق في الدنيا: أبي. ومهما قلت فلن أوفيكما حقكما مقابل الجهد الذي قدمتموه في رعايتي وتربيتي، أمي وأبي أنتما المصباح الذي ينير طريقي.

_ إلى أعز أخواتي الغاليات على قلبي: سمية، رنا، ونسرين.

_ إلى أخي العزيز الغالي على قلبي: حسام عبد الباسط.

_ إلى كل الأهل والأقارب: أخوالي، خالاتي، أعمامي، وعماتي.

_ وإلى كل أصدقائي في مشوار الدراسة، وإلى كل من أحبهم.

-عائشة-

الإهـــــــــــداء:

إلى السند الأول والدعم الدائم، الذي بفضل الله أولا ثم بفضله وصلت إلى هذا المستوى، إليك يا قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة...".

أبي الحبيب (أتمنى له دوام العافية)

إلى الشمعة التي ذابت من أجل أن تضيء درب حياتي، وتعبت من أجل راحتي، وبكت لأفراحي، إليك يا أغلى من في الوجود.... "

أمي الحبيبة (حفظها الله لي ورعاها).

إلى من قاسموني الحياة بكل تفاصيلها إخوتي وسندي حفظهم الله، وإلى أختي وحيدتي ورفيقة دربي، إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات صديقاتي ورفيقات دربي اللواتي صادفتهن في مشوار حياتي وعشت معهن أجمل الأوقات، وإلى زملاء الدراسة الأعزاء.

كل هؤلاء لكم منا فائق الإحترام والتقدير.

أهديكم ثمرة جهدي هذا

-سمية-

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة:

الرمز	المعنى
ج	جزء
تح	تحقيق
د ط	دون طبعة
ت	توفي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾

سورة التوبة، الآية: 105

المقدمة

الـــــمـقـــــدمـــــــــــة

أ- التعريف بالموضوع :

يعد موضوع البحث في الجانب الإجتماعي والثقافي بتونس العثمانية خلال منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي من المواضيع الهامة والشيقة في الدراسة كونها ألمت بجانب مهم في المجتمع، وخصوصا الجانب الثقافي لما له من مكانة عريقة في المجتمع بحيث يعتبر الجانبان الثقافي والإجتماعي من العوامل الرئيسية وأيضا الحيوية في بناء المجتمع القيرواني، وأيضا مساهمة العلماء والمشايخ في هذه الفترة، وخصوصا أثناء التواجد العثماني بالمنطقة وما صاحبه من تغيرات مست عدة جوانب منها: الدينية، الإجتماعية، الثقافية، وغيرها.

ب- دواعي إختيار الموضوع:

الأسباب الذاتية:

_ رغبتنا في دراسة هذا الموضوع والذي يتطرق إلى فترة زمنية مهمة تزامنت مع الدخول العثماني بتونس محاولة منا في التعرف على هذه الفترة أكثر من خلال دراسة المجتمع القيرواني، والتعرف على أبرز الثقافات المنتشرة في بلاد القيروان.

_ إضافة إلى محاولتنا المتواضعة في إثراء الجانب الاجتماعي والثقافي المتعلق بالقيروان، لأن كل المواضيع المدروسة لم تتناول هذه الجوانب كما تناولت الجانب العسكري والسياسي.

_ رغبتنا في الإطلاع على أهم جوانب هذه الرحلة أضافة إلى صورة القيروان بعد خرابها إلى غاية استعادة أنفاسها وزيارة الشيخ أبي رأس لها.

الأسباب الموضوعية:

_ التعرف على المجريات الزمنية لهذا الموضوع والتي لم تلقى إهتمام من طرف الباحثين السابقين.

ج- أهمية الدراسة:

معرفة الجوانب الإجتماعية والثقافية في مدينة القيروان خلال منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي ومدارس خامات هذه الجوانب في الدراسات الحديثة للموضوع.

د- الإشكالية:

تتركز هذه الدراسة في البحث والإجابة عن التساؤلات التالية:

_ كيف تجلت مظاهر الحياة الإجتماعية والثقافية بالقيروان خلال منتصف القرن الثامن عشر من خلال نص الرحلة.؟

_ من هم أبرز علماء هذه الفترة.؟ وما هي إسهاماتهم في الحياة الفكرية والثقافية.؟

_ ما هي أبرز المدارس العلمية.؟ ومن هم أبرز روادها.؟

_ ما هي دواعي بروز الأسرة الحسنية.؟ وما هي إسهاماتها في الصعيد السياسي.؟

_ ما هي أهم المعالم الدينية لمدينة القيروان.؟

_ وكيف ساعدت هذه المعالم في حفظ العادات والتراث بالمنطقة.؟

هـ- الدراسات السابقة للموضوع::

لقد تواجدت الكثير من الدراسات التي تناولت الحياة الإجتماعية والثقافية بالنسبة للمدن والمناطق، جعلت الدارسين والباحثين يخوضون غمار البحث فقط للوصول للحقيقة التاريخية وإدراك تفاصيلها، ولا يتفادى ذلك إلا بعد وصولهم لمصادرها الأساسية، ولعل موضوع الحياة الإجتماعية والثقافية بتونس العثمانية جعل الكثير من المؤرخين على إختلاف عهودهم وفتراتهم الزمنية يولون هذا الموضوع أهمية بالغة لتأليف الكتب تارة وبالمقالات التي تتناول الموضوع تارة أخرى، ومن أهم الكتابات التاريخية في موضوعنا هذا، كتاب: الحسن بن محمد شواط

(مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي)، وكتاب أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية)، وكتاب الدكتور يحيى بوعزيز (أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة)، وكتاب ألفونص روسو (الحوليات التونسية)، وكتاب محمد جوهر (شعوب العالم)، وكتاب محمد الهادي شريف (تاريخ تونس)، وكتاب عثمان الكعاك (العادات والتقاليد التونسية)، محمد بن محمد الأندلسي المعروف بالوزير السراج (الحلل السندسية في الأخبار التونسية)، وكتاب المؤرخ أحمد بن أبي الضياف (إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان)

و- المنهج المتبع في الدراسة:

إعتمدنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي الوصفي وقد طبقناه لوصف الأحداث التاريخية وترتيبها، ووصفها حسب مراحل البحث، كما تبنينا المنهج التحليلي النقدي وقد سلكناه في دراسة وتحليل النصوص المعتمدة في البحث من مصادرها الأساسية أو من المراجع التي أرخت للحياة الثقافية والإجتماعية بتونس بهدف إستنتاج الحقائق العلمية بكل صدق بعيدا عن الذاتية.

ز- الخطة المعتمدة في الدراسة:

هذا الموضوع على مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة وقد تفرع كل مبحث إلى مطالب، لقد خصصنا المبحث الأول إلى (مدخل) للتعريف بالكاتب والكتاب، أما المبحث الثاني (نص الرحلة من وجهة نظر الكاتب) تناول مضمونه التعريف بمدينة القيروان إضافه إلى أهم العلماء والمدارس في مدينة القيروان، أما الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى جانب من الحياة الإجتماعية حيث بينت لنا تكوين المجتمع وأبرز الأسر التي حكمت إضافة لعادات هذا المجتمع وتقاليده أما المبحث الرابع (المعالم الدينية) فقد عالج موضوعه أهم المساجد والجوامع التي كانت موجودة في القيروان وتبيان أهميتها الثقافية والإجتماعية والدينية.

ك- عرض أهم المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

_ أبو عرب التميمي، طبقات علماء إفريقية وتونس، الذي أفادنا في معرفة أهم علماء تونس في القرن التاسع عشر ميلادي وفي الجزء الذي يخص موضوع دراستنا.

_ الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمؤلفه أحمد إبن أبي الضياف الذي أفادنا وخاصة في الجزء الأول منه في العمران في القيروان حيث ذكر أهم الجوامع الرمزية في المدينة من حيث البنية العمرانية وكذلك عن الأهمية الدينية.

_ أبو بكر عبد الله محمد المالكي، رياض النفوس، هذا الكتاب من أهم المصادر التي يرجع إليها المؤرخون، فقد أفادنا كثيرا في معرفة أحداث وظروف تأسيس مدينة القيروان.

المراجع:

_ كتاب خلاصة تاريخ تونس، لمؤلفه حسن حسني عبد الوهاب، إستعملناه في الفصل الثالث عن أصل الأسرة الحسينية، وطبيعة الظروف التي وصلت فيها الأسرة للحكم.

_ كتاب العادات والتقاليد التونسية، للمؤلف عثمان الكعاك، والذي إستفدنا منه في الفصل الثالث أيضا عن العادات التقليدية المنتشرة في تونس.

_ أيضا كتاب الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، للمؤلف ناصر الدين سعيدوني، والذي أفادنا كثيرا في معرفة الصناعات كصناعة الشاشية التونسية.

ل- صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات التي تشكل للباحث عقبة ولعل أبرزها:

_ طبيعة موضوع الدراسة وضرورة البحث عن المصادر المتعلقة بها.

_ قلة المصادر والمراجع والذي شكل لنا عائقا في الوقت.

_ عدم تكافؤ الطموح البحثي مقارنة بمتغير الوقت، والإمكانيات المتوفرة.

_ القصور الذي تعاني منه المكتبة الجامعية من ناحية المصادر والمراجع التي تخدم موضوع دراستنا.

_ وختاما لا يسعنا إلا أن نحمد الله –عز وجل– الذي وفقنا بفضله وكرمه على إتمام هذا العمل على هذا الوجه، ثم إننا نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور حسان بلعيد، على مدى إستفادتنا من نصائحه وتوجيهاته القيمة، فلا تسعه كلمة شكر ولا نجد ما نرد به جميله سوى الإعتراف بفضله، وجزاه الله عنا خير الجزاء، أمين .

وحسبنا أن نلتمس العذر لما يشوب هذا البحث من نقائص، فإن أصبنا فبتوفيق من الله عز وجل، وإن لم نصب فحسبنا أننا حاولنا على أمل الإستفادة من ملاحظات وتصويبات الأستاذ الكريم.

– والحمد لله من قبل ومن بعد–

* المبحث الأول: مدخل تمهيدي

_ التعريف بأبي راس الناصري

_ تعليمه ورحلاته

_ قائمة بأسماء مؤلفات الشيخ محمد أبي راس الناصري

_ التعريف بالكتاب

_ أهم عناصر الكتاب

_ الوصف الخارجي للكتاب

_ محتوى الكتاب

_ أهم المصادر والمراجع التي إعتمد عليها الكاتب

يعتبر كتاب نبأ الإيوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان للمؤلف أبي رأس الناصري المعسكري من الكتب التاريخية المهمة كونه يعتبر رحلة كما أن المؤلف يعده من العلماء المحققين والمؤرخين الأثبات المدققين خلال العهد العثماني، الذي نال إعجاب العلماء مشرقا ومغربا وفي هذا الفصل سنتطرق بحول الله إلى التعريف بالكاتب وتبيان الأهمية التاريخية له، وأيضا التعريف بالمؤلف وأهم ما قدمه في حياته في الجانب العلمي.

التعريف بالكاتب أبي راس الناصري:

مولده و نشأته:

هو محمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري المعروف بأبي الراس، مؤرخ وحافظ له مشاركة في الفقه والأدب و الحديث و غير ذلك من العلوم.

ولد محمد أبو راس المعسكري حوالي منتصف القرن الثاني عشر للهجرة والثامن عشر ميلادي1150 هـ 1757م قرب جبل كربوط بالغرب الجزائري (قرب مدينة معسكر) و قد نشأ في بيئة فقيرة و في ظل الفقر يطارده حتى قضى نحبه فعاش فقيرا و يتيما إذ توفيت أمه ثم أبوه فكفله أخوه الأكبر، تنقل في صغره إلى مسقط رأسه و متيجة و تنس و المغرب الأقصى و حفظ القرآن الكريم و إستوعب العلوم العربية و الإسلامية من علماء و فقهاء عصره[1].

و على رأسهم الشيخ عبد القادر المشرقي ثم تصدى للتدريس و الإفتاء في مدينة معسكر زهاد ست وثلاثين عاما و تولى منصب القضاء والإفتاء و حج مراتب و إشتهر بالحافظ لغزارة علمه و كتب وألف في مختلف الأغراض و الفنون شعرا و نثرا وخلف ورائه مائة و ست وثلاثين مخطوطة بين قصيرة وطويلة بعضها موجود والبعض الآخر مفقود و لم يطبع إلا واحدة أو إثنتان منها[2].

---

(1) شلابي نبيلة " الحياة العلمية بالجزائر في العهد العثماني من خلال كتاب رحلة أبي راس الناصري قيم الإله، مجلة الأحباء، العدد28 ، مخبر الإنشاء مصر العلوم الإسلامية في الجزائر ، ديسمبر 2019 ص696 ، 700

(2) الدكتور يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط 1دار العرب الإسلامي،1995 ، بيروت، ص ص234 ، 236

تعليمه ورحلاته:

عرف أبي راس الناصري بكثرة رحلاته إلى الأمصار مقلدا بذلك السابقين من العلماء، فهو لم يكتفي بالتنقل بين مدن الغرب الجزائري فحسب بل تنقل إلى مدينة الجزائر ثم قسنطينة ثم تونس و مصر و الحجاز ثم الشام و فلسطين و كاف، بدء سفره إلى الشرق سنة1204 هـ و عرف أبو راس الناصري بعلمه الواسع وكثرة حفظه حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام وصار عند المصريين شهيرا ثم رحل إلى مكة وإجتمع بعلمائها و فقهائها كالعلامة عبدالملك الحنفي، المفتي الشافعي الشامي[1] الذي أخذ عنه بعضا من الحديث ونبذة من الكنز و شيئا من التفسير و مثل مفتي الشافعية عبد الغني ومفتي المالكية الحسين المغربي الذي جالسه طويلا كما إجتمع بمكة بالشيخ العارف المبارك عبد الرحمان الشاذلي المغربي وقرأ عليه شرح العارف بالله إبن عباد على" الحكم "، ثم رحل أبي راس الناصري إلى الشام وتحدث إلى علمائها في مسألة من الحبس نص عليها الشيخ أبو زكريا إبن الحطاب و رجعو إلى رأيه و وافقوه بعد الدليل القاطع بل وجمعوا له مالا كثيرا عندما أراد السفر تكريما له وتعظيما وبعد ذلك دخل "الرملة" إحدى مدن فلسطين و لقي مفتييها وعلمائها فأكرمو ضيافته، كان بينه كعادته و بينهم مناظرات في مسائل مختلفة إعترفوا له فيها بالفضل وبسعة العلم، إلا أنه لم يجد عالما واحدا يعول عليه كما ذكر عندما عاد إلى العريش[2].

و عند عودته إلى الجزائر تقلد عدة مناصب في الفتوى والقضاء والخطابة في جامع بلده معسكر لكنه عزل عن الوظيفة سنة 1221 هـ، ثم إتصل بعد ذلك بسلطان المغرب مولاي سليمان وتنقل إلى فاس واشتهر أمره بها ومكث مدة ثم عاد إلى الحجاز لآداء فريضة الحج مرة أخرى سنة 1226 هـ/ 1813م وبعد عودته إلى الجزائر إشتغل بالتأليف حتى وفاته[3].

(1) شلابي نبيلة، المرجع السابق، ص 700

(2) أبو القاسم محمد الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، د ط ، مطبعة بيير فونتانة الشرعية، الجزائر،1906 ، ص337

(3) أبو القاسم محمد الحنفاوي، نفسه ص.333

يقول صاحب كتاب طلوع سعد سعود الآغا بن عودة المزاري عن وفاة أبي الناصر ومات بوقته (يقصد حسن بن موسى الباهي في سياق حديثه عنه) مجد القرن الثالث عشر هجري، ذو التآليف العديدة و التصانيف الكثيرة المديدة العلامة الأفراد أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشد المعسكري الناصري يوم الأربعاء الخامس عشر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتان وألف من الهجرة الموافق ل 27 أفريل1823 م و دفن بعقبة بابا علي في معسكر، توفي عام 1238هـ 1824م وقد جاوز التسعين سنة ودفن بمعسكر.

وعليه فإن حياة أبي راس المعسكري قد تميزت بالتنوع فقد درس العديد من العلوم والنحو و أحكام القرآن و التصوف كما عرف العديد أيضا من علماء وفقهاء ، كانت حياته مميزة، حيث تغلب على الفقر والتسول وكل هذا بسبب طموحه في الحياة و رغبته في النجاح[1].

قائمة بأسماء مؤلفات الشيخ محمد أبي راس الناصري المعسكري:

بحسب تصنيفه:

يقول: "فوضعت هذا المختصر الجليل و التأليف الفاضل الجميل في ذكر أسماء الكتب و صنفنا وسميته شمس معارف التكليف في ذكر أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف، و ها أنا أسرد أسمائها بحسب مارقت من نصيب.

القرآن:

1. أولهم مجمع البحرين و مطلع البدرين بالتفريد في تفسير القرآن المجيد في أربعة أسفار كل سفر خمسة عشر حزبا بشتهار.
2. ثم الإبريز و الإكسير في التفسير في ثلاثة أسفار.
3. ثم الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز.
4. ثم سيوف القوامع في شرح الدرر اللوامع.

(1) أسيل الفسيح التواصل العلمي في رحلة أبي راس المعسكري قيم الإله و مفاتح الجنة وأساها، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، ص55

5. إزالة الألغاز على كلام الطراز على الحراز.

6. توضيح المعاني في شرح جرز الأماني في ثلاثة أسفار.

7. قنديل الإتقان في أحكام القرآن.

8. ختم المنان في ترتيب نزول القرآن.

الحديث:

_ الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات.

_ مفاتح الجنة و أسناها في الأحاديث التي إختلفت في معناها.

_ السيف المنتضى في ما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى[1].

_ النور الساري في شرح صحيح البخاري، في أربعة أسفار.

_ السيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري، أربعة أسفار.

_ مناعم الشفا في ثلاثة أسفار.

_ نزهة الفضائل في شرح الشمائل.

الفقه:

_ الأحكام الجوازل في نبذ النوازل.

_ العقود الجوهرية في الفوازل المعسكرية.

_ النظم العجيب في الفروع التي قل فيها النص مع كثرة الوقوع.

_ الكوكب الدري في الرد بالجدري.

_ سند ما رواه الواعون في أخبار الطاعون.

_ النبذة المنيفة في في ترتيب فقه الإمام أبي حنيفة[2].

---

(1) أبي القاسم محمد الحنفاوي، مرجع سابق، ص، ص236 ،237

(2) نفسه، ص237

النحو:

_ عمدة الزاد في إعراب كل شيء وجئت بلا زاد.

_نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة.

المذاهب:

_ رحمة الأمة في إختلاف الأئمة.

_ تنشيف الأسماع في مسائل الإجماع.

_ جزيل المواهب في إختلاف أربعة مذاهب[1].

التوحيد والتصوف:

_ الزهر الأكم في شرح الحكم.

_ فتح الإله في توصيل إلى حكم أبي عطاء الله.

_ التشوف إلى مذهب التصوف.

اللغة:

_ ضياء القابوس على كتاب القاموس.

_ رفع الأثمان في لغة الولائم السمان.

البيان:

_كتاب نيل الأماني على كتاب سعد الدين التفتزاني.

---

(1) أبي القاسم محمد الحنفاوي، مرجع سابق، ص 238

المعاني:

_ الجوهر اليماني في توضيح ما صعب من علم المعاني.

المنطق:

_ القول المسلم في شرح السلم.

_ القول الجامع في شرح جمع الجوامع.

التاريخ:

_ زهرة شماريخ في علم التاريخ.

_ تحفة الإخوان في بيان أرهاط وقبائل الجان.

_ الوسائل لمعرفة القبائل.

_ المعالم الدالة على الفرق الضالة[1].

_ الحلل السندسية في حرق وهران والعداوة الأندلسية.

الجغرافية:

_ الجوهر والغرض في وصف السماء والأرض.

المذاهب:

_ رحمة الأمة في إختلاف الأئمة

وقد جمع الباحث أبي راس الناصري في هذا الكتاب أسهل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم إذ أنه هو القائل "يسرو ولا تعسرو" وقد حصل الباحث على بعض التسهيل لدى

(1) أبي القاسم محمد الحنفاوي، مرجع سابق، ص، ص 239، 240

لدى المذاهب الأخرى وقد إستنبط هذا الحكم عما ورد من شريعة الإسلام المستنبط من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أو قوله أو إقراره إما قياسا أو لمفهوم القول أو الفعل أو الإقرار و قد ذكر في آخر تقديمه كثير من الخلاف في فروع الأحكام المجردة عن الدليل و التعليل وذلك ليسهل حفظه على أصحاب التحصيل ممن يقصد حفظ أقوال مذاهبه وما كان منه ذلك إلا تسهيلا لذكر الأحكام و إختصارا لجمع الكثير من أقوال المذاهب والتي إختصرها الكاتب في هذا الكتاب[1].

_تنشيف الأسماع بعض مسائل الإجماع:

وقد جمع الكاتب في هذا الكتاب مسائل الإجماع في العقيدة والفقه وقد كانت النتيجة أن مسائل الإجماع كثيرة جدا تكاد لا تحصى إلا بكلف ومن كثرتها ردها بعض أهل العلم بالتآليف تنشيف، وحيث كانت هذه المسائل منثورة في باب تحصيل تفسير تحصيلها لمن أراد الإطلاع عليها من أهل الإسلام و حتى تبيين للمطلعين عليها أن مسائل الإجماع ليست قليلة ولأن العلماء قد إشترطو في المعني والمجتهد أن يكون عارفا بمواضيع الإجماع ولو ذهب يتتبعها من الكتب لطال به المقام وإستغرق في ذلك وقتا طويلا، فمن باب إظهار هذا الجانب المشرف من جوانب الشريعة ومن باب النصح للأمة ولأهل العلم أفردت هذه المسائل في مؤلف خاص قصد أن يكون عنوانه تنشيف الأسماع بشيء من مسائل الإجماع[2].

التعريف بالكتاب:

1./ أهم عناصر الكتاب:

_ المؤلف :أبي راس محمد بن أحمد الناصري المعسكري الجزائري 1238هـ/ 1823م.

_ تقديم و تعليق :محمد الحبيب العلاني، سهيل الحبيب.

(1) أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمان، رحمة الأمة في إختلاف الأئمة، د ط، قطر 1401 هـ/ 1981 م.

(2) وليد بن راشد السعيدان، تنشيف الأسماع في بعض مسائل الإجماع

_ عنوان الكتاب :نبأ الإيوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان.

_ عدد صفحات الكتاب 189 :صفحة.

_ حجم الكتاب :ملف من نوع PDF بحجم 8.16 ميجابايت (متوسط).

_ دار النشر :مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان.

_ مكان النشر: القيروان.

_ سنة النشر:.2012

_ نوعية الورق :عادية.

_ حالة نسخ الخط :جيدة.

2./ الوصف الخارجي للكتاب:

يتضمن الكتاب في الواجهة الأمامية " عنوان الكتاب بخط غليظ بني "يليه أسفل منه الإسم الكامل للمؤلف مع التقديم و التعليق والتقديم باللغة الفرنسية و أيضا إحتوى آخر الغلاف على إسم دار النشر أما صورة الغلاف الخلفية فقد إحتوى على نفس ما كتب في الصورة الأمامية ولكن باللغة الفرنسية.

3./ محتوى الكتاب :

إحتوى الكتاب والذي هو عبارة عن مخطوط على ثلاثة فصول تتدرج تحتها عناوين مقسمة كما يلي:

1.) تحت عنوان المخطوط ومؤلفاته و سياقه التاريخي:

وصف فيه الكاتب المخطوط وقدم ملامح للقيروان قبل رحلة الناصري كما أنه أفرغ لنا محتوى المخطوط وترجمه.

2.) تاريخية الرحلة إلى القيروان وتحولاتها الثقافية إضافة إلى عرض بعض من صفحات المخطوط

وأخيرا قدم عنوان

3.) نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان:

و هنا عرف لنا الجانب الثقافي للمدينة عبر ذكر بعض أعلام الجوامع الكبيرة والمعروفة إضافة إلى القبور أيضا والتي كان لها تأثير كبير في مجتمع القيروان كما أنهى الكاتب كتابه بتتمة للموضوع (خاتمة) وذكر قائمة المصادر والمراجع إضافة لفهرس الموضوعات .وهذا كل ما جاء في الكتاب.

أهم المصادر والمراجع التي إعتمد عليها الكاتب:

نذكر ما تيسر منها:

_ عزالدين بن الأبكر، أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور و محمود عبد الوهاب فايد.

_ إبن إتسوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ضمن المكتبة الأندلسية، القاهرة.

_ التكسير البوريدي، أبو سعيد البرادعي، وكتاب تهذيب المدونة ضمن محاضرات ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة.

_ أبو العرب محمد بن أحمد تميم، طبقات علماء إفريقية و تونس، تقديم وتحقيق علي الشامي و نعيم حسن اليافي.

_ الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض.

_ عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر ودوران المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

_ عبد الرحمان إبن خلدون، المقدمة.

_ إبن خلكان، وفيات الأعيان.

_ الحسن إبن أحمد الزوزعي، شرح المعلقات السبع، تحقيق غازي أيوب.

_ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (ج8)، تحقيق إحسان عباس.

_ محمد طالبي، دراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط.

بعد دراستنا للفصل الأول وتقييمنا للكاتب والكتاب، فقد تمكنا من معرفة أهم ما قدمه المؤلف أبي رأس الناصري في حياته العلمية وما ألفه من كتب شملت التاريخ، الفقه، الجغرافيا، الفلك، والحديث، ومدى الرصيد العلمي الغزير الذي لدى المؤلف، إضافة إلى التعريف بنص رحلته لمدينة القيروان والأهمية البالغة التي حظي بها المخطوط الرحلة، لأنه يعتبر من المصادر المهمة في التاريخ.

المبحث الثاني: نص الرحلة من وجهة نظر الكاتب

تعريف مدينة القيروان

الأسباب التي دفعت عقبة لتأسيس القيروان

أهمية مكان مدينة القيروان

أهم علماء مدينة القيروان

إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر القريشي (مولاهم)

بكر بن سوادة الجذامي "أبو تمامة"

عبد الرحمن بن رافع التنوفي

إسماعيل بن عبيد مولى الأنصاري

سحنون بن سعيد بن حبيب التنوفي، أبو سعيد الامام.

المدارس التعليمية

المدرسة الطبية القيروانية وبصمتها في الطب الحديث

المدرسة الشماعية

المدرسة الحسينية الصغرى

المدرسة التوفيقية

المطلب 01: تعريف مدينة القيروان

كان المسلمون يخرجون لغزو إفريقية وينتصرون في غزوهم ثم يعودون إلى مصر أو دمشق وذلك لبعد خطوط مواصلاتهم وإمداداتهم وبعد عودتهم إلى مقرهم في مصر أو دمشق كان ينقض أهل إفريقية الذين عاهدوهم معاهداتهم المبرمة بينهم، كما يرتد من أهل إفريقية بعض من دخلوا في الإسلام، ولقد مكث معاوية إبن خديج أثناء غزوته التي قام بها بمكان يسمى القرن، يقول ابن عبد الحكم: "وإتخذ قيروان[1] عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر[2].

ويعبر عن ذلك المالكي بأن معاوية " قد إختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان وأقام بها مدة إقامته بإفريقية وحفر آبارا عند باب تونس في ناحية الجبل لكنه منحرف للشرق بالقرب من مصلى الجنائز تسمى الآن آبار خديج غلب عليها إسم أبيه خديج وذلك قبل تأسيس القيروان.

تلك كانت مقدمة لأهمية إيجاد معسكر أو مدينة ليقيم فيها المسلمون وعندما أسند أمر إفريقية إلى عقبة إبن نافع سنة 50هـ جعل أول أمر يقوم به هو أن يؤسس القيروان

الأسباب التي دعت عقبة لتأسيس القيروان:

إن الأمر الذي أخرج العرب من الجزيرة لكي يصلوا إلى أفريقية إنما هو الإسلام وإذا

(1) محمد محمد زيتون، القيروان وعصرها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، شارع باب الأخضر، ميدان الحسن، القاهرة ص73

(2) أبو أكبر عبد الله محمد مالكي المالكي، رياض النفوس، ص60

كان العرب يطلبون الإقامة قائما من أجل ذلك وإذا كانوا يبنون مدينة قائما من أجل ذلك الدين أيضا ولتحقيق هذا الهدف.

فالهدف الأصلي هو تبليغ دعوة الله ثم الوسيلة إلى ذلك هي الدفاع عن هذه الدعوة فتأسيس مدينة القيروان كان لهدف ديني ولهدف عسكري حربي وهذا ما يشير إليه الدباغ متفقا مع المالكي وإبن عذارى حين يورد المحادثة بين عقبة وأصحابه "أن إفريقية إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا وقيروانا تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"[1].

وهكذا يبدو السبب واضحا في هذه هو نشر الإسلام ونشر تعاليمه وإفساح المجال أمام شعاعه حتى يهدي القلوب ويزيل الضلالة ولكن السيوف مسلطة من حوله فليكن في المدينة المنورة الحماية والمنعة والتحرش من أن يكون بين أهلها غير المسلمين الذين قد يكونون عيونا للعدو ولقد توجه أمل عقبة إلى أبعد من ذلك بأن تكون القيروان مركزا علميا مملوءا بالعلماء والفقهاء والمطيعين الله والدارسين الذين سيتولون ذلك ويقومون به عندما تغمد السيوف وتتلاشى المقاومة أمام المد الإسلامي ويعبر عن ذلك أبو العرب في طبقاته تعبير حين يذكر أن عقبة بن نافع كان معه في عسكره خمس وعشرون من أصحاب النبي "صلى الله عليه وسلم" وأن عقبة جمع وجوه أصحابه وأهل العسكر فدار بهم حول مدينة القيروان وأقبل يدعو لها ويقول في دعائه: "اللهم إملأها علما وفقها وأعز بها الإسلام وأمنعها من شبابة الأرض"[2].

وقال المالكي[3]:" فشد إليها الناس المطايا من كل مكان، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين، وأعز بها الإسلام وأهله، ودمغ بها أهل

(1) محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص72

(2) أبو العرب التميمي، طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق الشامي ونعيم حسن الباقي، تونس، الدار التونسية للنشر 1968، ص56

(3) حسن بن محمد شواط ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الاولى1411، ص47

النفاق والأهواء والشك والظلالة"

وسرعان ما إتسع بناء القيروان حتى إشتمل سورها على أربعة عشر بابا وسبعة محارس، وقسمت إلى أرياض[1]، وحارات وشوارع، وأزقة وأسواق وحمامات[2].

وقد وصفت القيروان في كتب الجغرافيين والمؤرخين بأوصاف بعظمتها وتدل على فضلها ومن ذلك قول الإدريسي: "ومدينة القيروان أم أمصار، وقاعدة أقطار وكانت أعظم مدن المغرب قطرا، وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا و أوسعها أحوالا وأتقنها بناءا، وأنفسها هما.
والغالب على فضالها التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتخلي عن الشبهات، وإجتناب المحارم والتفنن في محاسن العلم".

ب) إختيار مكانها:

من فهم أهداف قيام القيروان تبين إختيار مكانها، لقد كان الهدف في نشر الإسلام بين أهل البلاد الأصليين وهم البربر، أما المستعمرون من الروم فهم السد الذي يقف أمام إنتشار نور الإسلام ولذلك لا بد من أخذ الحذر منهم إلى أن يتمكن نور الإسلام من القلوب ويعم شعاعه الآفاق ويتمكن من جذبهم إلى نوره أو من طردهم إلى المكان الذي قدموا منه ما داموا يقفون سدا حائلا دون الإسلام وإنتشار نوره، ولذلك كان قرب مكان القيروان من الداخل يوضح الهدف منها هو توضيح حقائق الإسلام والتقرب من أهل البلاد حتى يشرح الله صدرهم للإسلام[3].

وهكذا يعبر النويري عن أثر قرب مدينة القيروان من البربر في الداخل مما أدى إلى إنقياد كثير من البربر للإسلام وذلك عندما يعبر عما أجمع عليه المؤرخون من مناداة عقبة عند

(1) أبو أكبر عبد الله محمد مالكي، رياض النفوس، ص47

(2) حسن بن محمد شواط، المرجع السابق، ص47

(3) محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص73

خطاط القيروان" أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله 'صلى الله عليه وسلم' إرحلوا عنا إنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه، فنظر الناس في ذلك اليوم إلى السباع تحمل أشبالها والذئاب تحمل أجرائها والحيات تحمل أولادها فأسلم كثير من البربر"[1]، ويقول ياقوت:" فحمل ذلك كثيرا من البربر على الإسلام"[2].

ومن ذلك يبدو الأثر واضحا لتأثير إختيار مكانها في تحقيق أهم أهدافها وهو أن تكون موطنا لنشر كلمة الإسلام.

لكن المستعمرين من البيزنطيين الذين يتحكمون خاصة في سواحل هذه البلاد ما زالت لهم شوكة وقوة وهم بلا شك سوف يحاولون مدافعة المسلمين عن هذه البلاد وقد سبق لهم ذلك وسيتابعونه، كما أن البحر المتوسط الذي يفصل بين القسطنطينية وبين الشمال الإفريقي كله وخاصة إفريقية قاعدة حكمهم وتسلقهم في هذه البلاد. وما زالت لهم السيادة عليه وليس للمسلمين الأسطول المتحرك السريع والقواعد البحرية الآمنة التي يمكن بها مدافعة ذلك العدو والتغلب عليه في معارك بحرية، ومازال سبيل المسلمين إلى التغلب على عدوهم من الروم هو خوض معارك برية حسب الطاقة التي يتمتعون بها بريا ومن هذا تتجلى لنا الأسباب والعوامل التي جعلت القيروان تبعد عن البحر لتحقق لها الأمان النسبي في فترة تقاتل فيها عدوا يتربص بها وكي لا تكون عرضة لهجمات أسطول العدو المبادرة خاصة عندما يكون الجيش الإسلامي يؤدي واجبه في ردع أية مقاومة تقف في سبيل نشر الدعوة الإسلامية فيسهل على العدو تخريبها وسبي سكانها وطمس شعاعها فتفقد الهدف المنشود من بنائها بأن تكون قاعدة دينية ودفاعية كما روعي في إختيار موقعها سهولة إمدادات الجيش من ناحية الدواب التي تحمله آنذاك.

(1) النويري، نهاية الإرب عن فتح العرب للمغرب، ص142-143 وأوردها غيره مع عدم ذكر إسلام البربر وبصورة قريبة منها، أبو العرب طبقات، ص58، الدباغ معالم الإيمان ج1، ص10

(2) معجم البلدان لياقوت الحموي، المجلد السابع من عشر مجلدات، ص193

ويمكن تلخيص أسباب اختيار المكان في الآتي:

1- البعد عن الساحل كي لا تتعرض لأساطيل البيزنطيين.

2- القرب من البادية لتباشر نشر الإسلام بين البربر.

3- تأمين إمدادات الجيش وحماية وسائل المواصلات (الإبل).

هذا ما نستطيع أن نفعله من تلك المناقشة التي يرويها عما دار بين عقبة وأصحابه في إختيار مكان القيروان وموضعها بالنسبة للروم(*) والبربر(**) وما قام به من إرتياد الأماكن حتى توصل إلى إختيار المكان المحقق لأهدافها وعبر المالكي عن ذلك وهو قريب مما ذكره إبن أثارة حيث يقول: "فقال له مع أصحابه 'قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين' " فقال لهم أني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ولكن إجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركه غزاة البحر لأن صاحب المركب لا يظهر من الجهة في بشرة الليل فهو النهار فلا تدركها منه غارة أبدا فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير، فأهلها مرابطون، ومن كان على البحر فهم حرس لهم وهم عسكر معقود أي آخر الدهر وبيتهم في الجنة فإتفق رأيهم على ذلك[1].

---

(1) محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص75

(*) الروم: هم مجموعة ثقافية وقد يُشار إليها بالمجموعة الإثنية أو بصفتها جنسية، وفق أوجه مختلفة، استطاعت في العصور الكلاسيكية القديمة منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الخامس ميلادي حكم أجزاء واسعة من أوروبا والشرق الأدنى وشمال أفريقيا عبر سلسلة من الفتوحات أو المعارك التي خاضتها إبان عهد الجمهورية الرومانية، ثم الإمبراطورية الرومانية لاحقًا. لم يرَ الرومان أن تصنيف «روماني» يرتكز على اللغة المشتركة أو الإثنية المتوارثة، بل اعتبروا كلمة روماني دلالة على انتماء المرء إلى المجتمع الديني أو السياسي، وتشارك العادات والتقاليد والقيم والأخلاق وأسلوب الحياة.

(**) البربر هم أقدم السُكَّان المعروفين لساحل البحر المتوسط ومناطق السهول وسلاسل الجبال في شمال غرب إفريقيا، عاشوا كرُعاة رُحّل أو كمزارعين في سلاسل جبال الأطلس ومناطق الريف المغربي والجزائر والصحراء الكبرى شرقًا إلى ليبيا ومصر، أما الأصول العرقية والحقيقية للبربر غير معروفة حتى الآن رغم اجتهادات المؤرخين، وتعود لغتهم الأمازيغية إلى عائلة لغات الأفروآسيوية، أما عن ديانتهم فقد شهدت الفترات القديمة من حياتهم أشكالًا متعددة من الأديان والآلهة أيضًا

فقال: وقربوها من السبخة، فقالوا نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف، فقال لابد من ذلك لأن الأكثر من دوابكم الإبل وهي التي تحمل عسكرنا قد تنصروا وأجابوا النصارى إلى دينهم، ونحن إذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول فتكون أرجلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى فأجابوه إلى ذلك عمال إلى موضع بناء المدينة على الساحل[1].

ج) تخطيط عقبة للقيروان:

بعد أن إستقر رأي عقبة ومن معه على بناء القيروان مختارا مكانها شرع في تمهيد مكانها للبناء وإزالة الأشجار الموجودة فيها حتى يبدأ تخطيطها وإقامة المباني التي يريد بنائها ويعبر إبن الأثير عن الأشجار التي كانت مكانها قبل بنائها وما كان يسكن فيها من الحيوانات والحيات بأنها "كانت دجلة مشتبكة بها أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك"[2].

وقد أقبل المسلمون يقطعون الأشجار ويمهدون الأرض لأجل تخطيط المدينة فإذا ما إنتهوا من ذلك شرع عقبة يخطط المدينة ويحدد شوارعها ومصالحها وأهم شيء في ذلك هو ما يحقق الهدف من قيامها وهو المسجد ثم دار الإمارة وبعد ذلك المساكن والدور التي سيقيم فيها الجنود وأسرهم وقد تم ذلك بالمواد الموجودة في المكان دون عناء كبير "فكانت بناءات القيروان في أول أمرها على غاية البساطة وقد إستعمل لتشييدها قراميد الآجر لوجود الطين المناسب في عين المكان ولخلو ضواحي العاصمة من الحجارة"[3].

(1) أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق، ص، ص 7,6

(2) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيشاني المعروف بإبن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، ص 234

(3) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات في تاريخ الحضارة العربية الإفريقية ،د ط، مكتبة المنار للنشر، 1965

القيروان:

كلمة القيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية، وتعني مكان السلاح ومحط الجيش أو إستراحة القافلة وموقع إجتماع الناس في المدن، والقيروان عاصمة الباريسيين، مدينة تونسية تبعد حوالي 160 كيلومتر عن تونس العاصمة، يحدد موقعها البكري فيقول: "مدينة القيروان في بساط من الأرض مديد، من الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر صفاقس وقابس، وأقربها منها البحر الشرقي، بينها وبينه مسيرة يوم، وبينها وبين الجبل مسيرة يوم، وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، وشرقها سبخة ملح عظيم نظيف طيب، وسائر حواشيها أرضون طيبة كريمة، وأحسنها الجانب الغربي، وهو يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة مائة، وهواء هذا الجانب طيب صحيح"[1].

القيروان توجد على مسيرة يوم من البحر الذي كان البيزنطيون يسيطرون على مياهه، وهي تبعد بمثل ذلك عن الجبال، حيث كانت آنذاك تعتصم القبائل البربرية المآوية للإسلام، وتمثل القاعدة المحدثة رأس الحربة وسط خط المواجهة الممتد بين المسلمين والبيزنطيين، بعد إنهزام ملكهم جرجير في سبيطلة أمام جيوش معاوية بن خديج سنة 45هـ، 665م وتراجع سلطانهم وإنحصاره في شمال البلاد، ويعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ/ 670م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع [*].(أنظر: ملحق 01 ص74)

---

(1) الديوان: محمد بن شرف، تح: حسن ذكرى حسن، مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1983، ص08

(*) عقبة بن نافع: هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري هو من كبار القادة العرب والفاتحين في صدر الإسلام. ولد في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– سنة 1 ق. هـ، ولا صحبة له، شهد مع عمرو بن العاص فتح مصر، ثم شارك معه في المعارك التي دارت في أفريقيا (تونس حاليا)، فولاه عمرو برقة بعد فتحها، فقاد منها حركة الفتح باتجاه الغرب، فظهرت مقدرته الحربية الفائقة وحنكته وشجاعته، وعلا شأنه.

توفي عقبة في إحدى حروبه سنة 63 هـ في مكان يعرف حتى الآن باسم سيدي عقبة بالجزائر ومن أحفاد عقبة المشهورين يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري القرشي أحد القادة الدهاة وعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة مرة بن عقبة بن نافع الفهري أمه بربرية أمير من الشجعان الدهاة.

وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر بها المسلمون، إذ كان يخشى إن رجع المسلمون عن أهل إفريقية أن يعودوا إلى دينهم، والقيروان من أقدم وأهم المدن الإسلامية، بل هي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب، ويعتبر إنشاء مدينة القيروان بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامي في المغرب العربي، فلقد كانت مدينة القيروان تلعب دورين هامين في آن واحد هما: الجهاد والدعوة، فإذا كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتوحات، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلمون العربية وينشرون الإسلام، فهي بذلك تحمل في كل شبر من أرضهاعطر مجد شامخ وإرث عريق يؤكده تاريخها الزاهر ومعالمها الباقية التي تمثل مراحل هامة من التاريخ العربي الإسلامي.

لقد بقيت القيروان حوالي أربعة قرون عاصمة الإسلام الأولى لإفريقية والأندلس ومركزا حربيا للجيوش الإسلامية ونقطة إرتكاز رئيسية لإشاعة اللغة العربية وآدابها[1].

أهمية مكان مدينة القيروان:

كان عقبة يعرف أهمية إقامة مدينة القيروان (العاصمة الإسلامية) الأولى في المغرب العربي الإسلامي لتقوم بدور رئيس دفع إلى نشر الإسلام وإمتداد نفوذها إلى القارة الإفريقية وأوروبا الغربية والجنوبية وجزر البحر المتوسط وحوضه الغربي "وبهذا فقد لمع إسم المدينة وشمل جميع النواحي العسكرية والسياسية والحضارية والدينية معا[2].

ومن الجانبين السياسي والعسكري كانت المدينة معقلا لحماية القوات العسكرية العربية من هجمات الأعداء المفاجئة ومن ثم ملجأ في حالة التراجع والإنسحاب ولحماية الجند كذلك

(1) محمد بن شرف، المرجع السابق، ص09

(2) الصباغ لمياء عزالدين مصطفى، القيروان ملتقى الأندلسيين، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد04 ,2011، ص174

من أي تمرد داخلي وتكون قاعدة عسكرية تنطلق منها القوات العربية لتحرير البلاد ومطر لتنظيم الجيش العربي وإعداده ولتضميد الجرحى بعد إنتهاء المعارك[1].

من الجانبين الديني والحضاري فإن بناء مدينة القيروان وستقرار بعض الصحابة فيها فضلا عن عدد كبير من التابعين قد هيأ لها أن تكون مركز للإشعاع الفكري والحضاري وكان أول شيء إهتم به العرب المسلمون نشر الإسلام واللغة العربية التي واكب إنتشارها إنتشار الإسلام، وأهمية المدينة من هذه الناحية توضح من خلال تاريخها الطويل في رفع الحركة العلمية ولا ينحصر تأثيرها على مدن المغرب وإنما على عموم المنطقة سواء في الأندلس أم غيرها.

والعامل الديني سيوضح من خلال دراسة مفصلة لأحوال أشهر الصحابة والتابعين الذين إستقروا فيها وبثوا في مجالسها ما لديهم من علوم في مقدمتها العلوم الشرعية وفضلا عن هذا فإن مدينة القيروان قد حققت مركزية للعرب وسيطرت على أقاليم المغرب العربي[2].

ومنذ أن إتخذت القيروان مركز إرتكاز تنطلق منها الجيوش العربية الإسلامية لتحرير باقي أطراف المغرب فقد سارت الفتوحات الإسلامية في إتجاهين الأول نحو الغرب سالكة طريق البر فشملت مناطق المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ثم الأندلس وجنوب فرنسا أما الإتجاه الثاني فكان نحو الشمال سالكة طريق البحر متجها إلى الحوض الغربي من البحر المتوسط منها إلى صقلية(*) وكورسيكا(**) وسردينيا(***) وشبه الجزيرة الإيطالية(****)[3]

---

(1) لمياء الصباغ، المرجع السابق، ص 174.

(2) نفسه، ص175

(3) نفسه، ص175

(*) صِقِلِّية: بالإيطالية: "تلفظ "سيتشيليا،Sicilia، هي أكبر جزيرة في البحر المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا.

(**) كُورَسِكَا أو كُورَسِيكَا (بالفرنسية: Corse، بالكورسية: Corsica) جزيرة فرنسية في البحر المتوسط، تقع غربي إيطاليا، وشمال جزيرة سردانية، وجنوب شرق فرنسا. جزيرة قرشقة هي الرابعة من حيث المساحة في المتوسط.

(***) سردينيا: بالإيطالية: Sardegna، هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ي إقليم ذاتي الحكم من إيطاليا، ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية.

(****) شبه الجزيرة الإيطالية (بالإيطالية: Penisola italiana) هي واحدة من أشباه الجزر في جنوب أوروبا (وهي تمتد لـ 1000 كم من وادي بو شمالاً إلى وسط البحر المتوسط جنوباً

المطلب2: أهم علماء مدينة القيروان:

1_ إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر القرشي مولاهم: أبو عبد الحميد (131-21):

كان محدثا فاضلا ورعا، أرسله عمر بن عبد العزيز رئيسا للبعثة العلمية، وأميرا على القيروان سنه 99هـ، فسار فيهم بالعدل، وعلى يديه أسلم من بقي من البربر، وعلم أهل القيروان السنن كما ذكر المالكي وكان خير وال وخير أمير، وكان في غاية الزهد والتواضع حريصا على نشر العلم.

مكث في القيروان معلما للناس، ناشرا للسنة، لمدة ثلاث وثلاثون سنة حيث توفي، هذا سنة 131هـ.

روى عن جماعة من الصحابة، وأدخل حديثهم إلى القيروان منهم أنس، وإبن عمر وعبد الرحمان بن غنم، وفضالة بن عبيد، وأم الدرداء، وغيرهم وروى عنه من أهل القيروان زياد بن أدهم، وهو تابعي، وإبنه عبد الرحمن بن زياد وغيرهما ولاشك أن تلاميذه بالقيروان كثيرون لطول بقائه فيها وقد أجمع النقاد على توثيقه، وكان شديد الحفظ لحديث الرسول 'صلى الله عليه وسلم' كما يحفظ القرآن "أخرج له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وإبن ماجه، وأحمد وغيرهم[1].

2_ بكر بن سوادة الجذامي، أبو تمامة:

دخل القيروان قبل البعثة بعدة سنوات، يكون مقامه بها أكثر من ثلاثين سنة، محدثا وفقيها وقد إنتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل إلى القيروان حديث عدد من الصحابة، منهم:

(1) الحسن بن محمد شواط ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية، المكتب الإسلامي، خ 2، ص 515

عقبة بن عامر، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، كما روى عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، وإبن شهاب الزهري وقد قارب شيوخه الأربعين، روى عنه كثير من أهل القيروان، عرفنا منهم عبد الرحمان بن زياد، وأبو زرعة الإفريقي، وكان ثقة في حديثه، أخرج له مسلم، والرابعة ، والبخاري تعليقا، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها. وهذه ظاهرة لاحظتها كثيرا لدى علماء المشرق، فإنهم كثيرا ما يعدون الأفارقة في المصريين[1].

3_ عبد الرحمن بن رافع التنوفي:

أبو الجهم (توفي بالقيروان سنه113هـ) دخل القيروان في وقت مبكر سنة 80هـ وهو أجل قضاتها، وذلك على عهد حسان بن النعمان، وإستمر يبث فيها العلم ما يقارب ثلاثا وثلاثين سنة، حتى إنتفع به خلق كثير من أهلها كما في الرياض وغيره.

وقد أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصحابة عرفنا منهم: عبد الله بن الكناني، وبكر بن سوادة الجذامي، وغيرهم.

أخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود، والترمذي، وإبن ماجه، في سننهم، والنسوي في المعرفة والتاريخ، وغيرهم.

وقد ضعف النقاد حديثه، قال البخاري في التاريخ الكبير:"في حديثه مناكير"، وهذا الإطلاق الذي عند البخاري يفسره كلام إبن حيان حيث قال في التقات:"لا يقبع بخبر اثني إذا كان من رواية إبن أنعم، وإنما وقع المناكير في حديثه من أجله" وقال في مشاهير علماء

(1) أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وأخبارهم وقضائهم وأوصافهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص150

الأمصار: "من تقات المصريين وإنما وقعت المناكير في روايته من جهة الإفريقي لا من جهته"[1]، ولعل سبب تضعيفهم له هو الحديث التالي، حيث ما يفهم من كلام إبن أبي حاتم في الجرحي والتعديل وتكرر ذكر هذا الحديث في ترجمته في مصادر وهو ما حدث به عبد الرحمان بن زياد الإفريقي عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله 'صلى الله عليه وسلم': "إذا أحدث- يعني الرجل- وقد جلس في آخر صلاته قبل أن يسلم فقد جازت صلاته" غير أن عبد الرحمان بن رافع لم ينفرد بهذا الحديث فقد تابعه عليه بكر بن سوادة كما جاء في سنن الدارقطني وبكر كما تقدم في ترجمته عربيا، فلعل هذا الحديث مما أخطأ فيه حفظ الإفريقي، كما أشار إلى ذلك الذهبي في الميزان والدارقطني، والترمذي وأحمد شاكر في حاشية سنن الترمذي، وإبن حيان في المشاهير وعليه سليم إبن رافع من الضعف[2]

4_ إسماعيل بن عبيد مولى الأنصاري (توفي. 108هـ)

المعروف تاجر الله ورد إحتمال كونه إسماعيل بن عبد الله بن رفاعة الأنصاري، وقد وهم من عده ضمن العشرة كما تقدم، سكن القيروان قديما وبنى فيها مسجد الزيتونة سنه291هـ فما بنى فيها سوقا، وحبس كثيرا من المرافق، وكان تاجرا كثير البذل والمعروف جعل ثلث كسبه لله فسمي إسماعيل تاجر الله [3]

أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصحابة منهم: إبن عباس، وإبن عمر، وإبن عمرو، وجلس ينشر العلم بالقيروان أكثر من 17 سنة، فإنتفع به خلف كثير من أهلها وغيرهم، وبث فيها علما كثيرا "كما في الرياض وغيره وروى عنه من أهلها مسلم بن ياسر، وعبد الرحمان بن زياد، وبكر بن سوادة، وغيرهم وقد وثقه أهل إفريقية[4].

(1) حسن بن محمد شواط ، المرجع السابق، ص519

(2) نفسه، ص519

(3) نفسه، ص 523

(4) نفسه، ص 524

وقد ذكر إبن حجر في التهذيب، في ترجمة إسماعيل بن عيد بن رفاعة بن رافع أنه ربما إسماعيل بن عبد الأنصاري، وقد تبين لي إختلافهما إذ لم يذكر أهل الصناعة لهما تلاميذ أو شيوخا مشتركين، فإن إبن رفاعة لم يروغه إلاعبد الله بن عثمان بن هثيم ، وروى عن أبيه عن جده، وقد عده إبن حيان الذي معنا في التابعين، والذي معنا من الموالي ولم يوصف الآخر بذلك، وقد إختلفت بينهما المصادر[1].

5_سحنون بن سعيد بن حبيب المنوفي أبو سعيد الإمام (240-160)

إسمه عبد السلام ولقب بسحنون وهو إسم طائر جديد في المغرب لحدة ذهنه وذكائه، أصله من غرب الشام قدم به أبوه مع جند حمص، وهو إمام أهل إفريقية والمغرب بلا منازع، فقيه محدث قاض، مفت، حمل لواء أهل السنة والجماعة بتلك الربوع، قاوم البدع، ودون مذهب مالك ونشره، مع زهد، وورع، وتعفف، وكثرة صدقه ومعروفه، وهو أحد الآحاد.

والإمام سحنون غلب عليه إسم الفقيه وإلتصق به، وأغفل جانب الحديث عنده، رغم تضلعه فيه، وإهتمامه به، وكثرة شيوخه فيه، كما سيأتي[2]

_ طلبه للعلم ورحلته:

أقبل سحنون على طلب العلم في سن مبكرة، وسرعان ما نبغ فيه وتوسم فيه شيوخه النجابة وإخلاص الطلب لله عز وجل، وقد سمع الحديث والفقه من جل شيوخ عصره بالقيروان، مثل معاوية الحمادي المحدث (ت. 199)، والبهلول بن راشد (ت. 183) الجامع بين الفقه والحديث، وأسد بن الفرات (ت. 213)، وإبن غانم (ت. 190) وغيرهم، ورحل إلى تونس عدة مرات، فسمع الموطأ من علي بن زياد، وتعلم عليه أصول مذهب مالك، وكان يختلف إليه

(1) الحسن بن محمد شواط، المرجع السابق، ص525

(2) نفسه، ص 580-581

كلما وجد نفقة، وكان البهلول إبن راشد المحدث الزاهد التقي قد تصرف في سحنون، ومما جاء فيه " إني إنما أكتب إليك في رجل يطلب العلم لله عز وجل". قال المالكي: " فلما قرأه قال لسحنون أين نزلت؟ فأخبره، قال: فأخذ علي بن زياد الموطأ فأتى به إلى سحنون ليسمعه في موضعه الذي نزل به، وقال إن أخي – يعني البهلول– كتب إلي يعلمني أنك إنما تطلب العلم لله تعالى "[1].

كما سمع بتونس الحديث من عبد الملك بن أبي كريمة المحدث وأخذ الفقه عن أبي مسعود إبن أشرس التونسي صاحب الإمام مالك وبعد أن تلقى سحنون عن أكثر من إثني عشر شخصا من كبار علماء إفريقية – كما سيأتي– رحل إلى المشرق للأخذ عن علمائه، ويلاحظ الباحث أن هناك إضطراب في المصادر في ما يتعلق برحلة سحنون إلى الشرق فأكثر المصادر عن أنه إرتحل سنة 188هـ وعاد سنة 191هـ ، وبعض من أورد هذا التاريخ أورد أيضا عن سحنون أنه قال: "خرجت إلى أبي القاسم وأنا إبن خمس وعشرين سنة وقدمت إفريقية إبن ثلاثين سنة" وهذا لا يستقيم مع التواريخ المذكورة.

شيوخه:

لقد تعدد شيوخ سحنون، وإلتقى من كل بلد بكبارها، وأكثر شيوخه من أهل الحديث وقد عرف من شيوخه الأفارقة إثنا عشر رجلا، تسعة منهم من أهل القيروان، وثلاثة من أهل تونس، فأما القيروانيون فهم:

أسد بن الفرات (ت. 213)، البهلول بن راشد (ت. 183)، عبد الله بن أبي حسان (ت. 226) وهو محدث فقيه لغوي من الرواة عن مالك، شقران بن علي (ت. 186) كان عالما بالفرات وهو من الثقات، فيثة بن خارجة (ت. 210)

وأما أهل تونس فهم: علي بن زياد (ت. 183) وهو محدث فقيه وكان أول من أدخل الموطئ وجامع الثوري، أبو مسعود إبن أشرس وهو محدث فقيه ثقة سمع من مالك، وعبد الملك بن

(1) الحسن بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 582.

أبي كريمة (ت. 210) وهو محدث ثقة عابد.

المطلب3: المدارس التعليمية والثقافية.

_المدرسة الطبية القيروانية وبصماتها في الطب الحديث:

_العوامل التي ساعدت على نشأة المدرسة الطبية القيروانية:

قدم الطب العربي إلى تونس في منتصف القرن الثاني للهجرة ويذكر التاريخ أن أول طبيب دخلها هو مسيحي كوفي وهو يحي بن معاوية الذي جاء رفقة عياض بن عوان الذي تنحدر منه اليوم دار البهوامي، أيام الأمير حاتم المهلبي، وثانيهما مسلم وهو إسحاق بن عمران الذي قدم إلى القيروان أيام إبراهيم بن الأغلب بدعوة منه سنة 196هـ، وثالثهم يهودي وهو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي وهو مصري قدم أيام زياد الله الثالث آخر أمراء بني الأغلب سنه 296هـ، علاوة على عديد من الفقهاء البدن ممن قدموا ضمن الجيش الفاتح أما المصدر العلمي لهذا الطب، فهو إفريقي في منظومته وترجع نشأته إلى مدة الخليفة عمر بن عبد العزيز. سنة 99هـ الذي أمر بنقل مدرسة الإسكندرية إلى إنطاكية لقربها من دمشق العاصمة الجديدة، إستفاقته كل من له خبرة ودراية بهذا الفن غير مبادئنا بدينه وبسنه وكان الوارثون على هذه المدرسة من أهالي البلدان التي تم فتحها في الإسكندرية وأنطاكية و وهران وأيضا النسطرة الهاربين من إضطهاد بيزنطة، والكتب التي تمت ترجمتها إلى العربية على أيدي هؤلاء العلماء كيحي بن ماسوية كانت كتب سقراط(*) و جالينوس(**)(1) إلخ

(1) صدام حمزة، المدرسة الطبية القيروانية وبصماتها في الطب الحديث، دار المنظومة، جامعة الزيتونة، مركز الدراسات الإسلامية، 2009، ص، ص 15-16

(*) سقراط: فيلسوف وحكيم يوناني 470ق. م 311ق. م فيلسوف يوناني كلاسيكي يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة تعتبر حوارات أفلاطون من أكثر الروايات شمولية وإلماما بشخصية سقراط

(**) جالينوس: هو طبيب إغريقي ولد في بيرغامون سنة 129 وتوفي سنة 216. مارس الطب في أنحاء الإمبراطورية الرومانية وعالج العديد من الأباطرة الرومان. كان أكبر أطباء اليونان وأحد أعظم أطباء العصور القديمة. أثر بشكل كبير في العديد من الاختصاصات الطبية كعلم التشريح ، الفسيولوجيا، علم الأمراض وطب الجهاز العصبي. يعد بجانب أبقراط أحد أعمدة الطب في العهد الروماني الإغريقي وأحد من وضع أسس الطب الحديث

ولم يكتفي العرب بترجمة ما وجدوه بل نقحوا هذه الكتب اليونانية وأضافوا إليها.

أما العرب الأصليون المشاركون في بعث هذا الطب العربي أمثال الكندي وإبن كلدة فكانوا قلة[1] ومع هذه العلوم أدخل العرب إلى إفريقيا تنظيم المستشفيات للعلاج والدراسة وهو التنظيم المتداول اليوم في تونس ويدعى بالمستشفى الجامعي وهذا التنظيم هو فارسي الأصل وكان يسمى المارشان.

وطارا مما قيل إن العرب حملوا إلى تونس علما غير غريب عن هذه الربوع لا في فلسفته ولكن لغته، وكلنا يعلم أن العلاقة بين الحضارتين القرطاجية والإغريقية هي أقدم من علاقة هذه الأخيرة بالعرب والتاريخ يثبت أن الترابط والتواصل بينها و بين أثينا كان ثريا ويكفينا أن نذكر سندين صحيحين.

السند الأول:[2]

هو سند أبوليوس الذي درس علوم البيان وفن الخطابة بقرطاج ثم إرتحل إلى أثينا حيث أقام بها لعدة سنوات وإجتمع فيها بعدة طلاب آخرين من الأفارقة، وبعدها عاد إلى تونس مارا بروما حيث إشتغل كمحام وفي تونس كتب العديد من الكتب في القضاء مثل كتاب "أبولوجيا" وهو يعد نموذجا فريدا من الدفاع القضائي وكتب في الفلسفة مثل" سقراط" "ومذهب أفلاطون" وكتب في المسرح ونذكر خاصة رواية "الحمار الذهبي" التي جعلت منه أول روائي بحق في الأدب الغربي، وفي هذه الرواية خالف أبوليوس النظام المسرحي اليوناني حيث أنه إهتم بالإنسان من حيث مآسيه وأحزانه، بينما كان المسرح اليوناني يركز على بلوغ أبطاله المثل الأعلى كالفضيلة والجمال والحكمة.

السند الثاني:

هو رأي أرسطو في قرطاج والذي أورده الأستاذ حسين قطر في كتاب "تونس أعلام ومعالم"

(1) صدام حمزة، المرجع السابق، ص17

(2) نفسه، ص 17

حيث قال "عرف عن القرطاجيين أن نظام الحكم عندهم جيد، إذ يمتاز دستورهم على غيره من الدساتير، لعدة إعتبارات لقد كان دستورهم شبيها قبل كل شيء بدستور الكونيين وكانت عدة مؤسسات بقرطاج تسير كما ينبغي" وهذا الحكم يأتي على لسان رجل إشتهر بالعلوم الصحيحة البيولوجية قبل الفلسفة[1].

وخلاصة ما قيل فيه الآن هو إن الطب القادم مع الفتح الإسلامي لم يكن غريبا على هذه الربوع لا في فلسفته ولا في مبادئه الأساسية كالعلاج والوقاية. وحول هذا المبدأ الأخير مبدأ الوقاية الذي يرتكز أساسا على نظافة الفرد والمجموعة والبيت والمحيط نجد أن النظافة كانت الشغل الشاغل للفينيقيين والرومان. ومن شاهد على ذلك آثار الحمامات بقرطاج وغيرها من المدن كـ كركوان وسبيطلة، وصنع في الباب الثالث من هذه المداخلة ما بهذا المبدأ من مردود إيجابي على الطب العالمي في القرن التاسع عشر[2].

ونضيف إلى هذين المبدأين أن الحفريات بقرطاج أثبتت وجود لطبيبين وأن أحمد بن ميلاد يذكر في كتابه "الطب العربي التونسي في عشر قرون" إسم تريتاليان الذي ولد بقرطاج حوالي سنة 150 ميلادي وأحسن اللاتينية واليونانية، ونبغ في الطب والحقوق والبلاغة[3].

بعض إضافات المدرسة الطبية القيروانية للطب الوارد عليها:

نعلم كلنا أيضا أن العرب لم يقتصروا على ترجمة ما وجدوه من طب إفريقي بل نقحوا كتب اليونان وأضافوا إليها تجربتهم والدليل على هذا ما تركه لنا الشيخ الطيب أحمد بن الجزار –رحمه الله–.

(1) صدام حمزة، المرجع السابق، ص18

(2) نفسه، ص 18

فطبيبنا الذي لم يغادر البلاد التونسية من ولادته حتى موته لم يقتصر على نقل العلوم اليونانية كما أخذها، بل أضاف إليها طابع التخصص فإهتم –رحمه الله– بتعديل القوانين الطبية العامة على بيئة المجتمع محترما في ذلك طبيعة أهل بلاده، فراح يحقق في الديانات التي نبتت على أرض تونس وبضبط أسمائها بالعربية والبربرية معتمدا حكمة سقراط المأثورة: "يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تفزع إلى عادتها" يقول رحمه الله: "إن أبينا ذكر الأدوية التي هي مجهولة في بلدان الغرب، وإن كانت عند أطباء العجم معروفة لقلتم سبقنا نحن بذلك"[1].

المدرسة الشماعية:

سميت كذلك نسبة لسوق الشماعين الذي كان حولها في أوائل الدولة الحفصية[*]، إسمه سوق السايطين في الدولة المرادية[**]، وإسمه اليوم سوق البلقاجية، وهي من حسنات الأمير الداي زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، وذلك سنة 633هـ (1235م) أي في الوقت الذي تم فيه بناء صومعة جامعة القصبة، وهذا الأمير هو الذي أحدث سوق العطارين. ومن البديهي أن يكون سوق الشماعين من ملحقات سوق العطارين، وكان صنع الشموع من التجارة الرابحة بتونس ولم يبقى للشموع في هذا الزمان رواج إلا بنسبة

(1) صدام حمزة، المرجع السابق، ص23

(*) **الدولة الحفصية:** الدولة الحفصية هي الدولة الإسلامية الرابعة بالبلاد التونسية بعد الدولة الأغلبية، الدولة الفاطمية و الدولة الزيرية وقد دامت 347 سنة هجرية. حكمها الحفصيون، ومؤسسها هو أبو زكرياء يحيى الحفصي بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنناتي: نسبة إلى هنناتة إحدى فروع قبيلة المصامدة البربرية التي كانت تقيم بالمغرب الأقصى.

(**) **الدولة المرادية:** هي دوله كانت قائمة في تونس بين 1631 و 1702 وعلميا منذ 1628 إلى مراد باي أصيل كورسيكا الذي يدعى في الأصل جاك سانتي وقد سقط اسره وهو في التاسعة من عمره، ثم ولج الجيش الإنكشاري في عام 1613 سماه حاكم تونس عثمان داي باشا بحيث أصبح يخرج على رأس الحملة لجمع الجباية ونشر الأمن وهو ما مكنه من التعهد على داخل البلاد وتوثيق صلاته بالأعيان المحليين ورؤساء القبائل

ما تدعو إليه الحاجة من ترتيب الأفراح، كوقت زفاف العروس ولاسيما عند ولائم الإختتان التي يقيمها التونسي على قارعة الطريق حال توجههم بالصبي المقصود إختتانه للتبرك بزيارة مقام الشيخ سيدي محرز بن خلاف والشرب من بئر زاويته وهي عادة عامية ذات رونق وإنشراح، تزداد بهجتها حسنا بقصائد المديح، وترديد أبيات البردة من أفواه الصبيان، وهم زادوا اليوم في الطنبور نغمة، بإضافة طاقم من الموسيقى لمصاحبة أولئك الصبيان في سيرهم حول الأزقة والأنهاج[1].

ولنرجع لحديث المدرسة الشماعية فنقول: إنني لم أقف بكتب التاريخ عن ذكر مدرسة قبلها بحضارة تونس، وقد تداعت أحوالها في أواخر العهد الحفصي، فتداركها الداي أحمد خوجة بتجديد عمارتها في سنة 1057هـ (1647م) على عهد الدولة المرادية، وممن تولى مشيختها في القرن الماضي جماعة من آل البيت الخواجي ، منهم الشيخ أحمد بن الخوجة الأول. قرأ بها شرح المحلي على جمع الجوامع، وكان درسه جامعا لعلماء من طبقات متعددة، منهم الشيخ محمد بن الخوجة الأكبر، كان يحضر هذا الدرس مع أستاذ الشيخ محمد بن الخوجه، ثم يصاحب أستاذه المذكور لجامع الزيتونة لقراءة مختصر السعد عليه، ورأيت بخط بعض الأفاضل أن ممن سكنها في طلب العلم جماعة من دائمة المذهبين في عصور مختلفة منهم إبن عرفة والبرزلي، والأبي، ومن النشأة قرين الشيخ إسماعيل التميمي، وقد إقتضت وقفتها ترتيب راية طلبة العلم بها كان مقدارها ريالين في الشهر على عهد المنير محمد صادق باي ، وكانت راية الدراسة بها في الدولة الحفصية عشرة دنانير في الشهر، يتبرع بها الشيخ أبو العباس الغرناطي، صاحب كتاب المشرق في أحياء المشرق والمغرب وكانت له نافذة بين بيته وبين المدرسة لسماع ما يقرأ بالمدرسة[2].

(1) محمد إبن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص285

(2) نفسه، ص286

المدرسة الحسينية الصغرى:

هذه المدرسة من حسنات المولى حسين بن علي تركي أحدثها سنه 1128هـ (1715م) قال الشيخ محمد سعادة في كتابه قرة العين ينشر فضائل الملك حسين عند ذكر مآثر هذا الباي:

ومن ذلك إنشاءه –حفظه الله– مدرسة أخرى [1] تلاسق تربته [2] التي أعدها منزلا من منازل الآخرة بعد طول عمره إن شاء الله وبلوغ أمنيته بمقربة من دار اسطا مراد داي تونس كانت محكمة البناء والإتقان وعمرها بالطلبة النجباء، وشيخ عليهم الشيخ الفاضل أبا عبد الله محمد الشهير بجعيط وأوسع لهم البناء، فهي الآن والحمد لله تقرر فيها العلوم ويحقق فيها المنطوق والمفهوم، وقال الوزير الشيخ أحمد بن أبي الضياف ومن مآثره (حسن بن علي) مدرسة سايَاط عجم المعروفة الآن بالحسينية الصغيرة، وأول مدرس بها الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد جعبط ، قلت: وصفوها بالصغيرة والصغرى دفعا للإشتباه بالمدرسة الحسينية الكبرى من حسان إبن علي باي الثاني رحمه الله، رأيت في رسم وقفيتها إن المولى حسين بن علي إشترى دارا وطاحونة ودارا لصنع الصابون واقعة قرب دار الداي مراد وهدمها جميعها وبنى مكانها هذه المدرسة في التربة المذكورة المجاورة لها، وجعل المدرسة ذات عشرة بيوت، وحبسها على الطلبة الواردين عليها من الآفاق وإشترط عليهم قراءة الأحزاب التي رتبها لها، وبالتربة ورتب راية قدرها ثمانية ناصرية للمدرس، ولكل واحد من الطلبة ناصريان التربة أربعة وناصر، وحبس على ذلك أحباسا كثيرة وحبس معها مكتبا لتعليم الصبيان بالمكان. صدر منه ذلك –رحمه الله– في عام، 1123هـ (1711م)[3].

(1) قوله مدرسة أخرى: يقصد المدرسة الأولى التي أحدثها جوار جامع الزيتونة وهي المعروفة في هذا الزمان بـ: مدرسة النخل.

(2) هي مقبرة الملوك الحسنيين المعروفة بتربة الباي المنسوبة غلطا للمرحوم علي باي الثاني إبن الحسين بن علي ولعلهم نسبوها إليه لأنه أول من دفن بها من الأمراء الحسنيين والحقيقة أن الذي أنشأها هو أبوه حسين بن علي المذكور وكان ذلك في سنة 1123هـ (1711م) ص310

(3) محمد إبن خوجة، المرجع السابق، ص289

المدرسة التوفيقية:

هذا إسمها المجهور المعروفة به في كتب التاريخ وأما إسمها المشهور فهو مدرسة جامع الهواء، أحدثتها الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وأم السلطان أمير المؤمنين[1] محمد المنتصر بن أبي زكرياء وكان ذلك في سنة 650هـ (1252م) بنتها في أن واحد مع جامع التوفيق، ولك أن تقول جامع الهواء، ورتبت بها دروسا علمية وأوقافا جارية لإستدامتها، وكانوا في ذلك الزمان يسندون مشيختها لإمام الجامع، و أول من تولى الخطبتين العالم الخطيب الشيخ أبو عبد الله محمد الشريف من أصحاب الإمام الشاذلي توفي سنة (1267م) وتولاها أيضا في المائة السابعة الفقيه الصالح الشيخ محمد بن نصر عوف البسكري، وكان معاصرا للسيدة عائشة المنوبية رضي الله عنهما، ومن من سكنها في المائة الثامنة الشيخ محمد الأبي، شارح صحيح مسلم، وذكر فيها كتبه عن كتاب الطاعون من شرحه هذا أن الوباء نزل بتونس سنة 796هـ (1393م) والشيخ الأبي يسكنها، فمات أحد تلامذتها بالطاعون، وكان مدرسها الشيخ محمد بن عرفة قد شرع في قراءة الصيف فهجرها حتى جاء الشيخ الأبي وعرض له بالمجيء فقال أليس الوباء قد وقع عندكم؟ وذكر له أحاديث النهي عن دخول أرض الوباء، وحديث "فر من المجدوم فرارك من الأسد" ثم عاد إلى التدريس بعده، وبالتالي تلاشت أحوالها كما يذكر ذلك من كلام الشيخ إبن أبي دينار في كتابه المؤنس[2]، ثم جددت عمارتها في الدولة الحسينية، ومن شيوخها في المائة الماضية الشيخ محمد إبن ملوكة الحسينية، ومن شيوخها المفتي الشيخ محمد إبن ملوكة الشاهد، هذا وقد عرفت جمعية الأوقاف في الزمن الحاضر مجتهدا للزيادة في عمارة هذه المدرسة بالإصلاح

(1) هو السلطان التونسي الوحيد الذي لقب بأمير المؤمنين جاءته البيعة من مكة المشرفة ومن الأندلس وخطبوا بإسمه في الشرق والغرب قال في المؤنس وفي سنة سبع وخمسين (وستمائة) وصلت بيعة مكة بإنشاء عبد الحق بن سبعين وقربه على الناس عند ذلك تسمى بأمير المؤمنين ولقب بالمنتصر بالله (وكان إسمه محمدا) وتلقب قبله عبد المؤمن بن علي بأمير المسلمين وكانوا مع ذلك ينعتونه بالخليفة من باب التوسع والقرار في الإجلال والتعظيم.

(2) محمد إبن خوجة، المرجع السابق، ص 300.

والتوسعة إسعافا لأهل العلم شكر الله سعي الساعين في ذلك ومما يستحب إضافتها لها قدمنا، ما ذكره العلامة المؤرخ صاحبنا أمير اللواء أبو محمد السيد حسن عبد الوهاب في كتابه المسمى (شهيرات التونسيات) من أن هذه المدرسة معهد علمي مشعل أسس بتونس ونقل أبياتا في حق المحسنة الجليلة صاحبة هذه السيرة الخالدة من نظم فارس الغريض الأدبي أبي الحسن السيد الشاذلي خزندار ونصها:

إن غاب شخصك يا ذات الجلال فما * * * * * غابت مآثرك البيضا أياديها

في تونس ظهرت أولى المدارس عن * * * * * يديك تتستطار الرحمن لبانيها

مرت بها الناس أجيالا وذكرك في * * * * * أفواهها يتفشى بالدعاء فيها[1]

تعتبر القيروان من أقدم وأهم المدن الإسلامية وهي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب ونشأتها كانت من بداية تاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب العربي وقد كانت مدينة القيروان تلعب دورين هامين، ويتمثل هذين الدورين في الجهاد والدعوة في أن واحد عندما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتح كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا في البلاد لنشر الإسلام وبقيت القيروان لمدة قرون عاصمة المسلمين الأولى في أفريقيا والأندلس ومركز حربي لجيش المسلمين، والقيروان هي مدينة عريقة وتمثل مرحلة من المراحل الهامة في التاريخ العربي الإسلامي.

وقد تميزت القيروان بتواجد أهم العلماء في تلك الفترة حيث كان لهم دور كبير في شؤون القضاء والتعليم والبناء وكان للعلماء كذلك مكان كبير في الحركة العلمية وفي الحياة العامة، ولقد شهد مسجد عقبة بن نافع بالقيروان أنواعا من حلقات العلم بمختلف أنواعه وتمثل علمائه في علوم الفلك والطب وغيرها، كذلك نشأت في القيروان المكتبات العامة التي تمثلت في المدارس وتمثلت في العلوم والمعارف.

(1) محمد إبن خوجة، المرجع السابق، ص 301.

المبحث الثالث: الحياة الإجتماعية

تكوين المجتمع

اليهود

البربر

الطوارق

الأسرة المالكة: الحسينيون

حسين بن علي

علي باشا

حمودة باي

علي باي

العادات والتقاليد

صناعة الشاشية

تكوين المجتمع

مما تقدم نرى أن الشعب التونسي مكون من جماعات وعناصر جنسية مختلفة وفدت على تونس مهاجرة أو متاجرة، أو جاءت إليها غازية أو لاجئة أو حلت بها فاتحة أو مستعمرة أو حملت إليها رقيق مسيبة، لقد جاءت إليها تلك الجماعات والعناصر في عصور وأوقات مختلفة مدموغة طبائعها وصفاتها وخصائصها الجسمية والعقلية وتقاليدها وعاداتها بطابع بيئات أوطانهم السابقة، متأثرة بعض التأثر من مزايا بيئات طرقهم الطويلة، التي سلكوها للوصول إليها، ولما أناخو إليها إختلطوا بالعنصر أو العناصر التي سبقتهم، وإرتبطوا معها برباط الجوار والمصاهرة، فأثروا فيها وتأثروا بها، كما تأثروا ببيئة وطنهم الجديد، وتفاعلت الخصائص العقلية والجسمية لتلك العناصر المختلفة بعضها ببعض وتكون منها مزيج جديد، فيه من المزايا والصفات كلها ولكن في الوقت نفسه فيه مزايا وصفات جديدة لم تكن في إحداها[1].

على هذا النمط تكونت في تونس شعب متميز عن الشعوب الأخرى يجري في عروق أبنائه دماء العناصر الممتزجة كلها وبعض المميزات الجسمية والعقلية خاصة بكل منها، على أن بعض تلك الجماعات نائت بنفسها عن الإمتزاج بالجماعات الأخرى، لأسباب دينية كما فعل اليهود الذين تمسكوا بشعائرهم الدينية التي تحرم عليهم التزاوج مع أتباع الديانات الأخرى، والذين حدث صفاتهم السلوكية بكثير من أفراد الشعب التونسي، إلى أن يربو بأنفسهم على الإمتزاج بهم أو لأسباب قومية، كما فعلت بعض قبائل البربر كالطوارق وغيرهم الذين فضلوا أن يتركوا أرضهم الخصبة ويهجروا أوطانهم العزيزة على الخضوع للفاتحين، ولاذوا بالجبال وهضاب الصحراء الكبرى وإتخذوها مستقرا لهم ومقاما.[2]

(1) محمد إبن خوجة، المرجع السابق، ص،ص 300، 302

(2) حسن محمد جوهر، شعوب العالم تونس، د ط، دار المعارف، 1961، مصر، ص،ص 55, 56

أ. يهود تونس:

لقد إستوطن اليهود تونس من أقدم العصور فلقد جاءت أول جماعة منهم مع الفينيقيين(*) أو في عهد القرطاجيين(**) على الأقل، ولقد لجأ إليها جماعة أخرى من اليهود في القرن الحادي عشر، جاؤوها من إسبانيا بعد أن عذبوا فيها ونكل بهم، فرحبت بهم تونس كما في الأقطار الإسلامية الأخرى، مع اللاجئين والمستجيرين، فزاد بهم عدد اليهود في تونس.

ويختلف اليهود في تونس في دينهم وشكلهم وملبسهم وحياتهم الإجتماعية بصفة عامة عن يهود الأقطار الأخرى، وعن مواطنيهم التونسيين الذين يدينون بديانات أخرى، ولعل مرد ذلك إلى عزلتهم وتمسكهم بما وجدوا عليه آبائهم من عادات وتقاليد وسلوك[1].

يحافظ اليهود الذين يسكنون الريف على تأدية شعائر دينهم تأدية شديدة، ومما روي في ذلك أن أحدهم أخذ دجاجة وسار بها على قدميه عشرة أميال إلى الحاخام، ليذبحها له، غير أن اليهود في المدن التونسية لا يقيمون وزنا لمثل هذه الشعائر الدينية فتراهم يرتادون المطاعم العامة ويأكلون اللحوم التي تقدم إليهم، بما في ذلك لحم الخنزير المحرم عليهم أكله ، ومع ذلك فإنهم أقل تسامحا، وأشد بعضا للمسلمين والمسيحيين من يهود القرى، ولليهود أولياء

(1) محمد جوهر، المرجع السابق، ص،ص 56, 57

(*) الفينيقيين: أو الفنيقيون هم إحدى شعوب فينيقيا القديمة، ويُقال أنّهم التجار والمستعمرون الذين قدموا من منطقة الخليج العربي، في سنة 3000 قبل الميلاد، إلى بلاد الشام، وشمال أفريقيا، والأناضول، وقبرص، ووجدت الأصول الأولى للفنيقيين في الشرق الأوسط، حيث كانوا يتحدّثون اللغة السامية، وقاموا باحتلال ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد أظهرت الحفريات الاستكشافيّة الأخيرة التي جرت في مدينة جبيل الفنيقيّة أنّ التجارة كانت قائمة بين مصر وبيبلوس في عام 2800 قبل الميلاد، وبحلول عام 1250 قبل الميلاد، كان الفنيقيون ملاحون وتجار في عالم البحر الأبيض المتوسط، وأينما توجّه الفنيقيون عبر الساحل كانوا يؤسّسون مستعمرات لهم، والتي أصبحت فيما بعد دولاً مستقلة.

(**) القرطاجيين: القرطاجيون هم فينيقيون هاجروا إلى قرطاج، واستقروا بعدد من المدن الإفريقية، وأقاموا كيانا سياسيا قويا امتد ليشمل مناطق شاسعة من الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. وأسست قرطاج حسب الرواية الأسطورية من طرف عليسا ابنة متان ملك صور عندما هربت من جبروت أخيها بجماليون.

يزورون أضرحتهم ومن أشهرهم الحاخام سيمون وعلة تقديسهم له إعتقاداتهم أنه ضحى بنفسه فداء لهم، ويصدق اليهود الخرافات أصبحت عندهم منزلة العقائد الدينية ومن ذلك ما يرويه الكاتب هربرت فيفيان(*): "حين رأى مجموعة من اليهود يتزاحمون على بئر فسألهم: ما خطبكم؟ قالوا نحن اليهود نؤمن بأن كتائب من الملائكة مكلفون بحراسة الأرض والهواء والماء، ولقد علمنا أن المكلفين منهم بحراسة هذا البئر يستبدل بهم غيرهم كل سنة مرة في مثل هذا اليوم ولكننا لا نعرف الساعة المحددة ... وبما أننا نعتقد أنه إذا شرب أحد من ماء البئر أثناء هذه الفترة التي تترك فيها البئر دون حراسة أصيب بمرض معد... لذلك نمتنع من الإقتراب من البئر في أثناء هذه المدة"(1).

ويحرص يهود تونس على الإكثار من النسل إبتغاء زيادة عددهم ولا يبرح حاخاماتهم يذكرونهم بذلك ويشجعونهم على الزواج وإنجاب الأطفال بالأقوال المأثورة، وضرب الأمثال، ومن أمثالهم: "مثل الذين لا يتزوجون ويحددون نسلهم كمثل الذي يقتل نفسا حرم الله قتلها"(2).

ب) قبائل البربر الخلص:

لقد ذكرنا أن البربر سكنوا آخر الأمر في ظل العرب الفاتحين إلى الدعة وطفقوا ينتحلون صفاتهم وعاداتهم، ويأخذون بمذاهبهم في السلوك ويتشبهون بهم في الملبس والمركب والسلاح، ويرتبطون معهم بالمصاهرة والمصالح المشتركة وسرعان ما تناسوا نعرتهم الوطنية

(1) الهادي شريف، مرجع سابق، ص57

(2) نفسه، ص 69

(*) هربرت فيفيان: (3 أبريل 1865–18 أبريل 1940) صحفي إنجليزي ومؤلف وصاحب صحيفة. "وقدم أصدقاء" في 1880 مع اللورد راندولف تشرشل، تشارلز راسل، ليوبولد ماكسيه وغيرهم. قام بحملة من أجل الحكم الأيرلندي الداخلي وكان السكرتير الخاص لويلفريد بلانت، كان فيفيان زعيمًا لإحياء اليعاقبة الجديدة ، وهي حركة ملكية تهدف إلى استعادة ستيوارت.على العرش البريطاني واستبدال النظام البرلماني. في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، كان صديقًا لونستون تشرشل وكان أول صحفي أجرى مقابلة معه. كان ملكيًا متطرفًا طوال حياته ، وفي عشرينيات القرن الماضي أصبح من مؤيدي الفاشية . كتب عدة كتب من بينها رواية The Green Bay Tree مع ويليام هنري ويلكينز.

وعزتهم القومية وإندمجوا مع العرب إندماجا حمل بعضهم على إنتحال نسب عربي وإذاعته بين الناس، شأن الكثير من المسلمين غير العرب في الأقطار الإسلامية، المختلفة لما يرجونهم من المنزلة عندهم[1].

ولكن شذ عن ذلك بعض القبائل ذات العصابات القوية التي على الرغم من إعتناقها الإسلام وعلومها وأغرقها فيه، وإستبدالها اللغة العربية– لغة القرآن– بالبربرية فإنها أنيفة أن تؤدي المغارم للفاتحين وجرمت بما لقيته من بعض الولاة وإنتبذت لنفسها مكانا حصينا بين الهضاب والجبال الصعبة، فإستقرت حيث شاءت ولا تزال حيث هي تحافظ على بعض ما وجدت عليه آبائها من عادات وتقاليد وما فتئت تتبع نظام الأسرة التي يتخذ أصلها وحدة إسمها الخروبة، ومن مجموع الخروبات تؤلف القبيلة مجتمعة حول ذكرى جد أعلى، وتعنى القبائل الأكبر عناية بموضوع الحرمة أي إحترام الجوار لأرض القبيلة أو القرية وشرفها، وفي تحالف القبيلة مع القبائل الأخرى للهجوم أو الدفاع ولهذه القبائل البربرية مجالس الجماعة، يجتمع في كل منها رؤساء العروبات والمشايخ والأعيان ويلقبون بالضمان، ويختص المجلس بالنظر في قضايا الجنايات والجنح وفي الشؤون السياسية والمالية ويقوم بعمارة المساجد والمحافظة على المقابر وتوزيع مياه الروي وإضافه رجال السلطة، ويجب أن تصدر قرارات المجلس بإجماع الآراء فإن لم ينعقد الإجتماع على رأي، يؤجل صدور القرار إلى وقت ملائم آخر أو جرى تحكيم أجانب عن المجلس في موضوع الخلاف، ويكون قولهم هو الفصل، وللمجلس رئيس ينفذ قرارات الجماعة ويسهر على الأمن وإحترام الأخلاق[2].

(1) الهادي شريف، مرجع سابق، ص 70.

(2) نفسه، ص 70.

ج) الطوارق:

من أشهر قبائل البربر وأذيعها صيتا وأبعدها همة وأشدها شكيمة الطوارق، ويسميهم البعض توارك، ويدعون أنهم كغيرهم من قبائل البربر، سكنوا إلى الإسلام حين جاءهم به العرب المسلمون ولكنهم سرعان ما تبينوا أن الولاة والحكام يفرقون بينهم وبين العرب الوافدين وأن الآخرين يعلون عليهم علوا كبيرا، ولما خلوا إلى أنفسهم وتابو إلى رشدهم وإستمروا بينهم فرقوا بين العرب والإسلام فرجعوا إلى الإسلام أشد إستمساكا به وغلو فيه وظلوا يعتزلون العرب يناصبونهم العداء ويتربصون بهم الدوائر، ويلبس رجال الطوارق لثاما أسود أو أزرق أو أبيض لا يخلعونه في حلهم أو ترحالهم، في يقظتهم أو نومهم حتى في أثناء تناول الطعام ويصبغ بعضهم ما يظهر من وجوههم من أعلى اللثام بأصباغ مختلفة الألوان تلقي الرعب والخوف في قلوب من يراهم أو يلقاهم في السلم والحرب، ولقد ذهب الباحثون في مذاهب شتى في أصل اللثام وسبب لبسهم له، فيرى بعضهم أنه نوع من عدة التخفي التي يضعها رجال العصابات واللصوص، ويرى البعض أنهم إتخذوه واقيا من الرمال السافية والرياح العاصفة في أثناء إختراقهم الصحراء ثم صارت عادة لازمة لهم، رأى آخرون أن الطوارق توارثوه عن أجدادهم الذين إتخذوه في عهد غلبة أهل السودان على الصحراء الكبرى ليحسبهم من يراهم على بعد أنهم سودان فلا يتعرض لهم بالأذى أو يمسهم بسوء، ويرى البعض الآخر أنه من شعائر دياناتهم القديمة السابقة للإسلام على حين يرى صاحب كتاب تاريخ السودان أن الطوارق حميريون، ولما كانوا في اليمن ظهر أحدهم بدين جديد فتنهم فأضطهدوا وقتلوا وأخذت عليهم مهاربهم فتلثموا كالنساء كي يفلتوا من الحصار المضروب حولهم وتمكنوا بذلك من الفرار إلى شمالي إفريقية وإختلطوا بالبربر، فتبربرت ألسنتهم اللسان لتعودهم عليه [1].

(1) الهادي شريف، مرجع سابق، ص،ص 73، 74

الأسر:

الأسرة المالكة "الحسينيون":

في ظروف عصيبة من سنة 1705 تولى مقاليد الحكم رجل يدعى حسين بن علي، فقوم الوضع وأسس في نفس الوقت ملكا دام إلى سنة 1956، بيد أن تأسيس هذا الملك في القرن الثامن عشر لم يتم دون مشاكل فمن سنة 1956 وحتى 1762 شهدت البلاد سلسلة من الإضطرابات والثورات ولم يستتب بها الأمن والإستقرار ولم تبلغ المملكة الإزدهار الذي بلغته أيام حمودة باشا (1782-1819) إلا بعد هذا التاريخ.

إن هذا التطور الذي كلل بالنجاح قد صاحبه التقدم المادي والثقافي الذي شهدته البلاد (أو قطاعات واسعة من المجتمع) طوال فترة طويلة من القرن الثامن عشر إلى التاسع عشر وكان إيجابيا في معظمه[1].

تأسيس حكم الأسرة الحسينية:

عمت في القرون من 18-19م ربوع الإيالة التونسية إضطرابات نتيجة لتمرد مراد الثالث على عمه رمضان الذي كان بايا على تونس فقام مراد الثالث بسجنه ثم قتله وذلك سنة 1699 وإعتلى عرش تونس، تمكن من الحصول على تصديق الباب العالمي، هذا ما أضفى شرعيتا لحكمه، كرس نفسه للإنتقام من أعدائه وأعداء أبيه، إذ كان يباشر بنفسه على كل عمليات التعذيب[2].

وقد بويع :

حسين بن علي، 1735-1805 حاكما على البلاد بإجماع عامة من العلماء والأعيان وأكابر الجنوب وتمكن من فرض نفسه وحصل على فرمان التركية إسطنبول وهذا ما مكنه من تسيير

(1) محمد الهادي شريف، تاريخ تونس، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص، ص 81, 82.

(2) سمية تركي، الأسرة الحسينية بتونس والقرمانلية بطرابلس الغرب عهد التأسيس والموافق 1705-1745، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد جمة لخضر، الوادي، ص08.

أمور الدولة بكامل الحزم في إحتكار القرارات على جميع الأصعدة من الأعمال التي قام بها أثناء فترة حكمه، عمل على ضرب العناصر المشاغبة، وتوفير أمن الطرق 1735 وذلك لحماية القوافل التجارية، أيضا قام بتحصين المواقع الدفاعية لحماية البلاد من الهجمات الخارجية وبالذات إنطلاقه إلى ترميم أسوار تونس، قام ببناء قصر باردو وإتخذه مقرا رسميا للحكومة كما إعتنى بإحياء معالم مدينة القيروان التي تعرضت للخراب أثناء الحروب بين أفراد الأسرة المرادية[1].

عرفت تونس فترة من الإستقرار والهدوء والإستقرار فإن بعدها منذ 1729-1705 وإذا كانت فترة ما بين هذا الصراع الداخلي، بدأ الإضطراب من جديد في تونس حينما أعلن علي بن إبن أخ الحسين الثورة على عمه ونبع عن هذا الصراع الداخلي ضمن الأسرة الحسينية بين الباي حسين وإبن أخيه إلى إنقسام البلاد الحسينية إلى حسينية وباشية[2].

ولاية عهد علي باشا:

فترة حكمه مضطربة فقد ظلت آثار الإنقسام السابق بين باشية وحسينية قائمة وإستمر التدخل الجزائري يقلق علي باشا وذلك لأن أولاد حسين بن علي لجأوا إلى الجزائر وإستغل داي الجزائر وجودهم للضغط على تونس ولكي يدعم حكمه عهد علي باشا إلى الإستكثار من الجند وجلب المتطوعين الأتراك لتقوية جيشه وإستخدام فرسان من السود لحراسته (البوابة) وكانت هذه التصرفات قد شكلت تهديدا خطيرا على حكمه الذي إتجه نحو الإستبداد والظلم ولذلك عمد الكثير من المعارضين له إلى الهروب إلى الجزائر وتقوى بهم أولاد حسين بن علي باشا حكام الجزائر وإن الجميع ضده قرروا التدخل من خلال أولاد حسين فأستولت على الكاف

(1) ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1117 هـ/ 1705م) مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2013، ص20

(2) محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص02

ومنها إتجهت إلى تونس العاصمة[1]

ولاية علي باي (1759-1782)

عمل على إستعادة الأمن والإستقرار بالبلاد وإعتماد سياسة اللين والتسامح مخففا بذلك لحد بعيد أضرار الإنقسام السابق كما قام في الوقت نفسه بمعالجة الأوضاع الإقتصادية المتدهورة بسبب الفوضى السائدة وكان هدفه إعادة الحياة لمختلف الأنشطة وذلك بتشجيع الإنتاج الوطني وتشجيع التجارة فأمد التجار بقروض دون فوائد، وألغى الكثير من الضرائب على الفلاحين وإهتم بتوفير المياه اللازمة وقد كانت سياسة علي باي تعتمد على زيادة الإنتاج أكثر من زيادة الضرائب وهذا ما جعل البلاد تشهد نقلة متميزة في جميع الميادين وقبل وفاته جابه علي باشا مسألة الوراثة وفي النهاية أقر إبنه حمودة ليتولى حكم تونس[2].

ولاية حمودة باي (1782-1814)

من أبرز رجال الأسرة الحسينية وصف عصره بأنه عصر الإصلاحات (العصر الذهبي) لقد عمل على نشر الإستقرار والإزدهار وتجلى ذلك في الإصلاحات التي أدخلها في جميع الأصعدة، لقد إعتمد على الحكمة والمشورة في أعماله فأستعان بأهل الحل والعقد من العلماء والأعيان في كثير من القرارات قبل تنفيذها كما إعتمد على شخصيات بارزة في الإدارة أمثال الوزير يوسف صاحب الطابع ورئيس الكتيبة محمد بن محمد الأصرم وقائد الجيش سليمان كاهية مكنه من إدارة البلاد وتحقيق نهضة واسعة في شتى المجالات الإجتماعية والإقتصادية والتجارية، وكان حمودة باشا يشجع الإنتاج الوطني ويفخر بالصناعة المحلية ويحفظ الناس على إقتنائها وقد لجأ إلى تهيئة المال اللازم من أجل تحقيق الإزدهار[3].

(1) الهادي شريف، المرجع السابق، ص 05

(2) ياسين صنديد، المرجع السابق، ص، ص 25, 26

(3) الهادي شريف، المرجع السابق، ص 02

وأولى حمودة باشا الجيش أهمية خاصة وذلك لضمان المناعة والإستقلال للبلاد بإزالة الإنقسام الذي أضر بتونس ومشاركة التونسيين في الجيش إلى الأتراك العثمانيين قاصدا بذلك خلق توازن بينهما وقد عمل على تطوير القدرات العسكرية إستعدادا لمواجهة الأخطار الخارجية فأعتنى بالتحصينات وطور إنتاج الأسلحة والمعدات الحربية ورفع عدد من الجند ومن المصانع العصرية التي أنشأها بتونس العاصمة (دار البارود) وأيضا عدة معامل لصناعة المدافع، تحققت في عهد حمودة باشا نهضة عمرانية في المباني العسكرية مثل القلاع، الأسوار، الأبراج، كما إعتنى بالمباني المدنية منها التعليمية ومنها الدينية والترفيهية مثل: المدارس، المساجد، الحمامات والقصور[1].

إضافة إلى ولاة آخرين أيضا أمثال أبو الثناء محمود وحسين باي و علي باي، وعلى الرغم من أن مدة حكمه كانت قصيرة إلا أنها إتسمت بالعديد من الإنجازات حيث قام بتأسيس أول مدرسة سنة 1840م تعليمية تحتوي على مواد علمية عصرية، وقد أخطر أحمد باي إلى إستحداث ضرائب جديدة وأطلق يد الجبات والملتزمين في رقاب السكان بصورة لم يعهدها قطر من الأقطار كما أكثر من بناء القصور حيث بنى قصر الصيف في حلق الوادي وقصر المحمدية وقصر الصالحية، كما عرف عهده أيضا بإصداره لقانون يحرر فيه العبيد السود وألغيت بذلك العبودية في تونس وكان لهذا القرار وقع كبير على مستوى الدولة ولاسيما على الدول الأوروبية رغم أنه لم يحقق تغييرا جذريا في المجتمع التونسي[2].

العادات والتقاليد الاجتماعية:

للقيروان عادات وتقاليد، وهي عادات وتقاليد عربية إسلاميه تختلف بطابعها المميز عما نجده في بقية المدن التونسية، خاصة في المواسم والأعياد ونلاحظ ذلك في اللباس

(1) الهادي شريف، المرجع السابق، ص،ص 03, 04

(2) سمية التركي، المرجع السابق، ص 13

التقليدي، خاصة الجبة والبرنوس والعمامة والتي يرتديها أهل القيروان في المناسبات كعاشوراء والعيدين والمولد النبوي الشريف حيث يعود الإحتفال إلى ما قبل القرن الماضي، حيث تعد العصيدة تبركا في صباح المولد مع الإحتفال لإستقبال الناس في مختلف مساجد القيروان وزواياها وخاصة الجامع الكبير، كما إرتبط الإحتفال بالمولد بزيارة ضريح أبي زمعة البلوي، لتلك الشعائر السنوية الموجودة إعتقادا، في مدفن القبر ما يميز الإحتفالات هو إنتقال رجال الدولة بالقيروان للإشراف على الحفل بالجامع ليلة المولد، حيث تقام الصلاة وقراءة الإمام للقصة وتقدم العصيدة إضافة لمختلف أنواع الحلويات القيروانية على أنغام الفرقة الموسيقية، ويعبق البخور وتتلألأ الأنوار والأعلام وتتحول المدينة إلى مهرجان من باب تونس إلى باب الجلادين يأتيها المحتفلون من شتى المدن التونسية لتزين المدينة بالأعلام وبشتى الزرابي والمنسوجات القيروانية[1].

إضافة إلى تميز المجتمع التونسي بالصناعات التقليدية المحلية والإنتاجات الحرفية حيث ظل سكان تونس يسالمون مهنهم معتمدين على المهارة اليدوية والتقاليد المتوارثة، مستخدمين المواد المحلية مثل: الصوف والجلود والأخشاب والمعادن وذلك لتلبية الحاجيات الضرورية وقد ساعد على إزدهار هذه العادات التقليدية والحرف هو وجود الحرفيين الأندلسيين واليهود الذين إشتهروا بمهارتهم وجودة مصنوعاتهم[2] إضافة إلى ما كان يعرض في الشارع الكبير الذي يتوسط المدينة قبالة الجامع من الزرابي القيروانية والجلود والنحاسيات والصوف، إلا أن الزربية القيروانية هي الصناعة النسائيه القيروانية الأولى، ودون منازع وبإمتياز وأهم شكل مميز للزربية القيروانية هو شكل المعين الذي يتخذه المقروض كما يستعمل أيضا في نقش النحاسيات وهذا الشكل يؤكد الصلة المتينة لهذه الصناعات بالتراث القديم الإفريقي البربري[3]

(1) عثمان الكعاك، العادات والتقاليد التونسية، د ط، الدار التونسية للنشر، 1987، تونس، ص 82

(2) ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني (14/10هـ/ 16م)، جوبلية الحادية والثلاثون، قسم التاريخ، كلية الأدب، جامعة الكويت، 2010، ص 32

(3) عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص84.

صناعة الشاشية:

ثبت تاريخيا أن صناعة الشاشية كانت "مشاريع عائلية" مثل الزربية والمرقوم وهي صناعة منزلية عائلية أي أنها كانت تنتج في المنازل ثم تباع بالسوق[1].

كانت بالقيروان سوق الشواشين وفي مدينة تونس سوقان متعاصران السوق الحفصي، والسوق العالي، وقد كان هناك تشابه كبير بين صناعة الشاشية التونسية بصناعة العمارة الأندلسية من حيث المادة الأساسية وطرق الصناعة وحتى طرق اللباس، وإزدهرت صناعة الشاشية بتونس وصارت عنصر من عناصر التنمية الإقتصادية في البلاد.

وتمر صناعة الشاشية بعدة مراحل:

أ) خدمة الكبوس : هذه المرحلة تتم بالمنازل وهي مرحلة يدوية نسائية تستعمل فيها خمس إبر مصنوعة في تونس وصوف مغزول يمدها به صانع الشاشية.

ب) الخياطة الأولى: وهي أيضا عمل نسوي بحت، حيث تقتصر على وضع علامة خصوصية لصانع الشاشية.

ج) التبوطين أو التبليد : أي العمل على الكبوس حتى يصبح كقطعة قماش صوفية ناعمة وهذه المرحلة شبه صناعية أي تتم بمصنع جماعي خاص بتبليد الشاشية.

د) التقرديش الأول: هي مرحلة رجالية بحتة، كانت رجالية وتتم في السوق.

ه) الخياطة الثانية: عمل نسائي يقتصر على وضع علامة الخصوصية لصانع الشاشية قبل صبغها حتى يتمكن الصانع من التعرف على بضاعته وحتى يبرز للمشتري جودة صباغته.

إضافة إلى الصباغة، والتقوليب، لتأتي آخر مرحلة وهي مرحلة التزيين[2]

(1) إبن سريدين، الصناعات التقليدية ودورها التنموي، شاشية بتونس أنموذجا، دار المنظومة، العدد37، جمعية شيحة، 2007، ص35

(2) نفسه، ص،ص 36-37-38

تمكننا من دراستنا لهذا الفصل من التطرق للعديد من الجوانب الإجتماعية لتونس كتكوين المجتمع والذي شمل عدة عناصر كونه مجتمع مؤلف من يهود وطوارق وغيرهما وقد تميزت الحياة الإجتماعية أيضا عادات وتقاليد خاصة دينية وغيرها ميزتها عن العديد من الشعوب، إضافة إلى التطرق إلى أهم الأسر التي تعاقبت على حكم تونس (كالأسرة الحسينية) ومدى التأثير الذي ألحقته هذه الأسرة بعد بلوغها الحكم سياسيا وإقتصاديا إجتماعيا.

المبحث الرابع: المعالم الدينية

جامع عقبة بن نافع

جامع الزيتونة

جامع الباي

1. جامع عقبة بن نافع (الجامع الأعظم)

امتد جامع عقبة بن نافع منذ تأسيسه على مساحة واسعة هندسة معمارية متطورة، حتى قيل:" لم يبني عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة ولا يستبعد هذا لأنه عندما أسست مدينة القيروان كانت عمارة المساجد في البلدان الإسلامية قد إنتقلت من مرحلة التأسيس والتكوين إلى مرحلة إعادة البناء والتوسيع بل الزخرفة أيضا. (أنظر: ملحق 02 ص 75)

فالمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة الذي كانت جدرانه زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– من اللبس وأعمدته من جذوع النخل وسقفه من الجريد، بني في عهد عثمان بن عفان عام 30هـ بالحجارة المنقوشة، وجعلت أعمدته من حجارة منقوشة فيها عماد الحديد والرصاص وسقف بالسياج[1].

ولم تصف لنا المصادر التاريخية المسجد الذي بناه عقبة وإكتفت بالإشارة إلى أنه أجهد نفسه في تعيين قبلة المسجد لأن أهل المغرب ستضعون قبلتهم عليها، فأقام وأصحابه ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس، إلى أن إهتدى إلى موضع المحراب وإتجاه القبلة برؤيا رآها في منامه[2]

لذلك قدس أهل القيروان محراب عقبه وحافظ عليه الولاة أو من أتى بعدهم.

قبة البهو:

تختلف المصادر التي نسبتها وتحديد تاريخ بنائها فأبو عبيد البكري نسبها إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ويصفها بقوله:" بناء القبة المعروفة بباب البهو على آخر بلاط المحراب، وفي دورها إثنتان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش عربية وصناعات محكمة عجيبة

(1) نجوى عثمان، مساجد القيروان، ط 1، دار عكرمة، دمشق، 2000، ص، ص 65, 66

(2) إبن دقماق، الإنتصار بواسطة عقد الأمصار، د ط ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1893، القسم الأول، ص62

يشهد كل من رآها أنه لم يرى مبنى أحسن منها أما النويري فيسندها إلى أبي إبراهيم أحمد إبن الأغلب ويقول: "وزاد في جامع القيروان البهو والمجنبان والقبة." ويوافقه الدباغ وإبن ناجي فقد جاء في معالم الإيمان أثناء الحديث عن إبراهيم أحمد إبن الأغلب" وبنى في جامع القيروان القبة الخارجية عن البهو"[1].

المحراب:

بنى عقبة بن نافع أول محراب أقيم في هذا المسجد عام 50هـ بإيحاء من الله –سبحانه وتعالى– بعدما إختلف الصحابة الذين كانوا معه في موضعه وإتجاهه[2]، وفي حين يرجع بعض العلماء أول محراب مجوف إلى عهد عمر بن عبد العزيز عندما جدد المسجد النبوي الشريف عام 87هـ فإن بعضهم الآخر يرى أن أول محراب مجوف بني في مسجد عقبة عام 50 هـ (أنظر: ملاحق 03، 04 ص 76)

وقد كشفت مديرية الآثار عن أسس المحراب بسيط وشكل تجويفه مستطيل عرضه 193سم وعمقه 40 سم ويحتمل أن بساطة هذا المحراب وإنحراف جدار قبلته نحو الجنوب الغربي بمقدار 27 درجة مما يدل على أن هذا الجامع يعود للعهد الراشدي أو بداية العهد الأموي[3].

المنبر:

يشير فريد الشافعي إلى أنه أقدم منبر باق حتى الآن في العالم العربي وبحالة جيدة، من أصل عراقي صرف إذ عثر على ألواح خشبية أصلها من منبر آخر في جبانة بقرب مدينة بغداد وألواح أخرى في مدينة تركية وعلى هذه الألواح زخارف وعناصر محفورة من أسلوب الزخارف

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 72, 73

(2) كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، ط1، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، مصر، ص134.

(3) أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط1، الدولة التونسية بحاصرتها المحمية، تونس، 1287، ص81

والعناصر المحفورة التي يتكون منها جامع القيروان، وكان الجميع قد صنعوا في مصنع واحد وبأيادي فنانين من مدرسة واحدة [1].(أنظر: ملاحق 05، 06 ص 77)

المقصورة:

لم يعثر في كتب التراث على تاريخ محدد لإنشائها، ولكننا نستطيع أن نعرف من حادثة أبي إسحاق التونسي، التي وردت في معالم الإيمان أنها كانت موجودة قبل صفر 438 يقول الدباغ: "أمر السلطان المعز بن باديس بسجل في القضية وأمر بقراءته يوم الجمعة على المنبر.

(أنظر: ملحق 07 ص 77)

السقوف الخشبية:

يرى المنجي الكعبي أن سقف الأسلوب القبلي الكبير (مجاز المحراب) هو السقف الوحيد الأصلي الباقي بالجامع من القرن الثالث هجري ولا تزال ألوانه القزحية تحتفظ بجاذبيتها وتناسبها مع الأشكال الزخرفية والزهرية التي تحليه، ويذكر مارسيه أنه إكتشف بالسقف على طرفي المحراب أخشاب مدهونة من العصر الأغلبي وهي أوراق وثمر مثل ثمرة شجر الصنوبر ومثل هذه موجود بموزاييك قبة الصخرة[2].

قبة المحراب:

يرى بعض الباحثين أن قبة المحراب في جامع عقبه أنشئت عام 221 عندما جدد زيادة الله بن الأغلب المسجد ويعتبرونها أقدم قبة من نوعها في العمارة الإسلامية ويرى بعضهم الآخر

(1) الحلل السندسية، ص82

(2) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص71.

أنها أنشأت عام 248 مع الأعمال التي قام بها أبو إبراهيم أحمد إبن الأغلب ولا يوجد ما يؤيد هذا الرأي أو ذاك في كتب التاريخ أو الوثائق التي بين أيدينا حتى الآن، وهذه القبة مفصصة وتستند إلى 04 حنياة ركنية، والمعروف أن القباب المفصصة كانت معروفة قبل قبة القيروان، كقبة حمام الصرح الذي يؤرخ بحوالي عام 115 وهي أقدم قبة مفصصة (كانت معروفة قبل القيروان) حتى الآن في العمارة الإسلامية[1] عليها قبة قصر الأخضر (160م) أما أقدم مثل إسلامي قبل الصلاة مستهل صفر عام 438، ثم أمر السلطان بإحضاره للمقصورة في ذلك اليوم إثر الصلاة وأحضر معه الفقهاء، المنجي الكعبي أن الإفريز الذي نقش عليه الخط الكتابي بالمقصورة يشبه إفريز مثله بضريح الفاتح العظيم محمود الخزنوي في أفغانستان، بل إن إفريز مقصورة القيروان يكاد يكون هو الشبه الأمثل.(أنظر: ملحق 08 ص 77)

المئذنة:

يذكر البكري أنه لما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله وأن بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر فكتب إليه هشام يأمره بشرائها وأن يدخلها في المسجد الجامع ففعل وبناء الصومعة في بئر جنان ونصب أساسها على الماء وإتفق أن وقعت في نصف الحائط الجوفي، وأهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون إنه أكره أهل الجنة على بيعها، والصومعة اليوم على بنائه، طولها ستون ذراعا وعرضها خمسة وعشرون، ولها بابين شرقي وغربي، وعضاد بابيها رخام من قس كذلك عتبتها[2].

(أنظر: ملاحق 08، 09 ص 77)، (أنظر: ملاحق 10، 11 ص 78)، (أنظر: ملاحق 12، 13، ص 78)، (أنظر: ملحق 14 ص 79)

الأصول المعمارية للمئذنة:

يرى معظم الباحثين أن شكل مئذنة القيروان متأثر بالمآذن الشامية ذات المقطع المربع الذي

(1) مصطفى صالح، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ص19

(2) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 82, 83

ظل سائدا حتى أواخر القرن السابع الهجري ولكن مارتن بريجيز يرى أننا لسنا بحاجة إلى أن تنسب إلى سوريا أو إلى أي إقليم معين نشأت بناء بسيط جدا مثل مأذنة القيروان فنحن في حالة هذه المئذنة الأخيرة أمام ضرورة لازمة لأغراض دينية سدت بأبسط الطرق وأكثرها صراحة جورج مارسيه أنها تدل على المنارة الإسكندرية[1]، وبعدما كان عبد العزيز سالم يعتبرها مشتقة من المآذن السورية غير أنه إقتنع برأي تيرش وتبلر الذين قالا أن نظام المئذنة إلى المنارة الإسكندرية، ويرجع سالم تأثير منار الإسكندرية على مئذنة القيروان للأسباب التالية:

_ إستقرار جماعات من أهل الإسكندرية بالقطر التونسي (إفريقية) في أواخر القرن الأول للهجرة، فقد ورد في مصادر التاريخ الفتح العربي للمغرب أن حسان بن النعمان الغساني، إستعان بألف قبطي بأهله وولده من مصر في إنشاء دار الصناعة بالإسكندرية.

_ يضاف إلى ذلك أن الإسكندرية كانت القاعدة الرئيسية في مصر لتوجيه الحملات العباسية إلى إفريقية بحكم إتصالها بالطرق المؤدية إلى إفريقية والمغرب [2].

_ ثم إن الإسكندرية باب المغرب والأندلس وإليها تصل سفن المغاربة والأندلسيين الذين لم تنقطع رحلاتهم إلى المشرق الإسلامي عبر الإسكندرية منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، إما لأداء فريضة الحج أو طلب العلم أو سعيا لتكسب بالتجارة فلقد كانت الإسكندرية بعد رحلتهم الطويلة وكان منارها أول ما يشاهدونه من المعالم البارزة بحيث رسخت صورته في مخيلتهم[3]

إلا أن كريزويل يعترض على نظرية تيريس ويرفض الأخذ بها، وقد رتب في سياق عرضه الذي سند فيه نظرية تيري المآذن بقدر إمكانية ترسبها تاريخيا وخرج من ذلك بنتيجة هامة وهي أن المآذن التي يتعاقب فيها الطابق المربع فالمثمن مستدير هي من أندر أنواع المآذن

(1) عبد العزيز سالم، المآذن المصرية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ص، ص 09, 10

(2) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 82, 83

(3) سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص13

وإن مآذن هذا النوع تطورت بالتدرج من عناصر لا علاقة لها بنظام منار الإسكندرية، إذ إن أول مئذنة نشأت من هذه الطوابق الثلاثة قبل عام 1304م، وهي في هذه السنة كان منار الإسكندرية قد فقد طابقه العلوي وكان في طريقه إلى الإنهيار[1].

2. جامع الزيتونة:

بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله سنة 93 وقد توفي سنة 107 غرقا في طريقه إلى صقلية للمشاركة بالفتح.

كان أهل القيروان يقيمون الجمعة في مسجد الزيتونة عندما تجري أعمال ترميم وإصلاح بجامع عقبة، ثم إنه تهدم وبقي كذلك أعواما إلى أن أعاد بنائه سنة 660 أبو سعيد محمد التمالي المعروف بـ "العود الرطب"، جعل من هذا المسجد جامعا بإذن من السلطان الحفصي أبي العباس أحمد الذي بويع في الربيع الآخر سنة 772 وإستمر بالحكم حتى وفاته في شعبان سنة 796[2].. (أنظر: ملحق 17 ص 80)

الوصف الهندسي:

حافظ جامع الزيتونة على التقاليد المعمارية لمساجد العصور الأولى ولم يلحظ فيه ما يميزه عنها مع أنه أعيد بناؤه في العصر الحفصي وجعل مسجدا جامعا في هذا العصر أيضا، وأعتقد أن ذلك يعود إلى أنه بني وحده من قبل الأفراد، ولم يلقى أي عناية أميريه كما رأينا.

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص88

(2) حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها إبن رشيق، د ط، المطبعة التونسية، تونس، 1912، ص08

القبلية:

تتألف من 04 مجازات في كل مجاز 09 فتوحات الوسطى منها تشكل المجاز القاطع المؤدي إلى المحراب، للقبلة نوافذ عليا وسفلى مستطيله في جدرانه الأربعة و 03 أبواب على الرواق أمامها[1].

السدة:

السدة الخشبية تشغل الفتحتين الأخيرتين من المجازات الأربعة على جانبي بيت الصلاة شرقا وغربا، يصعد إلى السدة الشرقية ببرج خشبي داخل بيت الصلاة، وألغي الدرج الخشبي الذي يصعد إلى السدة الغربية من داخل بيت الصلاة ليركب في غرفة جنوبي المدخل الغربي للصحن[3]. (أنظر: ملحق 22 ص 83)

المحراب:

جدد المحراب مع أعمال الترميم الجارية (1993) قوسه جدوى الفرس المدبب، يستند إلى عمودين دائريين مختلفين. (أنظر: ملحق 23 ص 84)

المنبر:

خشبي مزخرف يتألف من 09 درجات وجلسة مزاح حاليا عن موقعه بسبب أعمال الترميم ومغطى لئلا يتأثر بالمياه والغبار وبقايا الآجر والأخشاب الناتجة عن الأعمال التي تجري من حوله[2].

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 152, 153.

(2) نفسه، ص151

(3) نفسه، ص156

المئذنة:

تقع في زاوية الرواق الجنوبي مع الرواق الشرقي مربعة، مبنية بالآجر وكتب بالآجر البارز على جدرانها "لا إله إلا الله" تنتهي بشرافات وفي الوسط المجاور أعلاه قبة محرزة، وهي مطلية من أسفلها إلى أعلاها بالجير الأبيض[1]. (أنظر: ملحق 24 ص 84)

الصحن:

يقع الصحن الشمالي القبلية وتقارب مساحة فراغه 18 x 23م^2 وله بابان باب شرقي وغربي وتحيط به أربعة أروقه: رواق جنوبي، رواق شرقي، رواق شمالي، ورواق غربي[2]

الرواق الجنوبي:

تتألف واجهة الرواق الجنوبي من سبعة أقواس حدوة الفرس المدبب، القوس الأوسط متقدم عن البقية لتمييز المدخل الرئيسي للقبلة، تسند هذه الأقواس إلى أعمدة بتيجان مختلفة ومخدات خشبية على طبقتين لإمتصاص الحركات الفقيه الطفيفة للمنشأة حمولة الأقواس (الإجهادات) بشكل متساو على تيجان الأعمدة، على جانبي المدخل قوسان متعامدان مع الواجهة كل منهما حدوة الفرس المدبب القريب جدا من الدائري، التباعد بين المركزين 05سم يستند كل من هذين القوسين إلى عمودين بتاجين مختلفين بينهما فوقها مخدتان خشبيتان ثم كتفان مبنيان بالأجر بحوالي إرتفاع 60سم وتحتهما قاعدتان حجريتان فوق قاعدتين مبنيتين بالآجر، وقد وضعت هاتين القاعدتين لأن العمودين قصيران، ووضعت القاعدة الحجرية الآجرية لتأمين نقل أفضل للإجهادات من العمود إلى القاعدة الآجرية، وبني الكتفان فوق العمودين القصيرين لجعل مستوى إنبثاق القوسين الطرفيين بمستوى إنبثاق قوس المدخل في

(1) حسين مؤنس، المساجد، د ط، عالم المعرفة، يناير 1981، الكويت، ص115

(2) المولى طه، جامع الزيتونة عمارته في مراحل تاريخية، دار المنظومة، العدد80، معهد الإنماء العربي، 1995، ص04

الواجهة ولجعل مناسيب نهايات الأقواس متقاربة، من فتحة القوس العمودي على الواجهة تساوي 158 سم وإرتفاعه 107 سم في حين نجد فتحة القوس[1] في الواجهة والمجاورة للمئذنة تساوي 217 سم وإرتفاعه 136 سم ونلاحظ أن مبدأ الفصل بين العناصر الإنشائية الذي رأيناه في جامع عقبة، قد طبق في هذا الترتيب للأقواس وأكتافها ومخداتها وللدعامات والأعمدة[2]. (أنظر: ملاحق 26، 27، 28 ص 85)

الرواق الشرقي:

يتألف من 06 فتحات بـ 05 أقواس حدوة الفرس المدبب على أعمدة حجرية دائرية بتيجان مختلفة، وعلي الأغلب أن هذا الرواق كان مؤلفا من 06 أقواس ثم خلال عملية الترميم حدث في زمن ما قد يكون عام 1905، أنشئ هذا الجدار أمام الباب الشرقي، ليشكل طارمة (ستارة) تحجب نظر المارين في النهج إلى داخل المسجد، ولربما يؤكد هذه الفكرة وجود جدار مناظر أمام الباب الغربي على إمتداد الرواق الغربي، يرمم حاليا الجدار الشرقي، داخل الرواق الشرقي بطريقة السلخ والتجليد وكان هذا الجدار (سابقا) قوسان جداريان إنما أضيفا في الستينيات لتدعيم الجدار وجعله قادرا على حمل السقف البيتوني الذي أنشئ آنذاك بدلا من السقف الخشبي حاليا تنفذ أقواس لما تبقى من هذا الجدار لزيادة مقاومته وتدعيمه خاصة وأنه لا توجد دعامات في الجهة الخارجية المطلة على الشارع[3]. (أنظر: ملاحق 29، 30 ص 86)

الرواق الشمالي:

يرمم حاليا جداره الشمالي، من الداخل بطريقة السلخ والتجليد وهدم القسم الغربي منه، كما هدم جزء من سقفه، في جداره الشمالي إلى الميضأة الشمالية الواقعة خلفه[4].

(1) أحمد فكري، مسجد الزيتونة الجامع بتونس، بحث أثري، مجلة القومية التونسية، 2020، ص84.

(2) الجيلاني بن الحاج يحيى، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص46

(3) أحمد فكري، المرجع السابق، ص،ص 85, 87.

(4) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص158

الرواق الغربي:

هدم بكامله مع سقفه وأعيد بناء قسم من جداره الخارجي وأنشأ لهذا الجدار أيضا أقواس خارجية جدارية، ولم تنصب أعمدة واجهته ولم تبنى أقواسها أي لم يكتمل بناؤه بعد، كانت هناك غرفة صغيرة في زاوية تلاقي الرواق الغربي مع الرواق الشمالي هدمت مؤخرا، وهناك أيضا غرفة في زاوية تلاقي الرواقين الغربي والجنوبي وتمتد على جزء من الرواق الغربي وربما كانت الميضأة الغربية التي تشير إليها وثائق جمعية الأوقاف، هدمت الجدران القاطعة التي كانت داخلها أثناء عملية الترميم الحالية، ونقل إليه درج السدة غربي القبلة، وفي هذا تسهيل لدخول النساء مباشرة من الباب الغربي إلى السدة، مكان صلاتهن.

جدد الرواق الجنوبي بكامله عام 1914 كما جددت سقوف الأروقة الثلاثة الشرقي، والغربي، والشمالي، في العام نفسه[1]. (أنظر: ملحق 31 ص 86)

3. جامع الباي (جامع الحنفي)

تذكر المصادر التي أرخت للفترة العثمانية أن هذا المسجد من مآثر محمد باي بناه للحنفية و لإقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين، وقد نفذ هذا المسجد فوق أسواق تجارية كانت موقوفة عليه سقوفها أقبية مهدية لذلك يصعد إليه بثلاثة أدراج الدرج الشمالي يربطه بالأسواق القديمة والدرج الجنوبي يربطه بحومة الجامع، أما الدرج الغربي فيربطه بالنهج الكبير وهو الشارع التجاري الرئيسي في المدينة[2]. (أنظر: ملحق 34 ص 87)

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 158, 159

(2) نفسه، ص165

المحراب:

قوس المحراب حدوة الفرس الدائري وحنيته وطاسته مزخرفتان بزخارف كفصية ملونة بالدهان، أما واجهته فمن المرمر الرخامي، إذ يشبه المحاريب الحديثة التي هي من صنع دار شعبان.

(أنظر: ملاحق 36، 37، 38 ص 88)

المنبر:

خشبي ومزخرف يتألف من 09 درجات وجلسة وقد حفر على اللوح الخشبي المثل أسفل الدرابزين عبارة "الحمد لله" وهذا المنبر كمنبري العصور السابقة دون باب ولا تاج فوقه ولا قبة فوق الجلسة وفي هذا المسجد أيضا كرسي خشبي مزخرف يقرأ عليه القرآن الكريم[1].

(أنظر: ملحق 39، ص 89)

السدة:

تشغل السدة الخشبية معظم القبلة كما رأينا في جامع الزيتونة ويصعد إليها بأدراج خشبية، تتموضع السدة بمستوى أسفل تيجان الأعمدة وتظهر تيجان الأعمدة والدعامات المبنية عليها فوق أرضية السدة والإرتفاع من أرضية القبلية إلى أسفل أرضية السدة 240 سم والإرتفاع من أرضية السدة إلى السمية 225 سم[2]. (أنظر: ملحق 40 ص 89)

المئذنة:

تتموضع المئذنة في الزاوية الغربية من الرواق الجنوبي للصحن الشمالي مربعة ومبنية بالآجر وتنتهي بشرافات وفي الوسط المجاور مربع ينتهي بها رمل رباعي، وتظهر خلفها مئذنة المسجد المعلق من العصر الحفصي وقد جددت في الثمانينيات، إذ نقضتا وأعيد بناءهما كما كانتا

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص171.

(2) نفسه، ص 172.

وأراد المشرف على عملية الترميم والتجديد أن يطلي مئذنة مسجد الباي بالجير الأبيض ويترك مئذنة المسجد المعلق بالآجر، ليرى أيهما أكثر ديمومة ومقاومة لعوامل الزمن ومياه الأمطار وتقلبات الطقس، درج المئذنة محمول على أعواد العرعار وهذه المئذنة مع أنها نفذت في الجامع العثماني الوحيد في القيروان، إلا أنها مماثلة تماما لمآذن العصور السابقة، أي أن المئذنة المثمنة التي ميزت بعض الجوامع العثمانية في تونس العاصمة[1].

(أنظر: ملاحق41، 42 ص89)

الصحن:

للمسجد 03 أصحن فهو بذلك أول جامع بثلاثة أصحن بالقيروان، وما زال وحيدا مع أنه نفذ بجامع الجبلي صحنان في العصر الحديث ولكن صحني الجبلي غير مقصودين، إذ أضيف إلى الجامع على التوالي حسب مراحل توسيعه وتجديده، وقد تعددت الأصحن في المساجد الخمس[2].

أ) الصحن شمالي القبلية:

يدخل إليه من باب شمالي بالسوق، ويصعد إليه بدرج وكذلك يدخله عن طريق برج الباب الغربي من النهج الكبير، الصحن والصحن الشرقي باب جنوبي، الصحن الشمالي رواق واجهته من 05 أقواس حدوة الفرس الدائري، هدم وأعيد بناؤه في الترميم الذي جرى بين (1989/1985) ويذكرنا هذا الرواق أمام القبلية والمرتفع عن الصحن بالرواق أمام القبلية والمسطبتين والمرتفعتين على جانبيه بالمساجد العثمانية في سورية سقف هذا الرواق خشبي مربع يسند إلى جداره الجنوبي وإلى صف الأقواس في الواجهة.

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص91

(2) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص، ص 174, 175

ب) الصحن الشرقي:

يصعد إليه بدرج من الباب الجنوبي مغلق وغير مستعمل حاليا، غربي هذا الصحن رواق من قوسين، وقد كتب تاريخ المسجد على إحدى خشبات سقفه، كما ذكرنا أعلاه، شمالي هذا الصحن رواق من 03 أقواس، وينزل من هذا الرواق إلى الميضأة بدرج، وهي معطلة الآن لأنها بحاجة إلى ترميم كبير[1].

الجانب العمراني خلال فترة القرن التاسع عشر في تونس مثل أهمية كبيرة في مختلف المجالات وكان له أهداف مقصودة حيث مثل بعضها صحة تحصينات عربية، ومثل بعضها معالم دينية، والبعض الآخر يعتبر من المنابع العامة والتقدم الحضاري وكمثال عن هذا نذكر جامع الزيتونة والذي حافظ على تقاليده المعمارية.

(1) نجوى عثمان، المرجع السابق، ص 176.

تقييم الكتاب:

يعتبر كتاب أبي رأس الناصري "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان"، من أهم ما ألف في القرن الثالث عشر هجري، التاسع عشر ميلادي وذلك في إختصاصات علمية متنوعة، عكس الثقافة الغزيرة للمؤلف حيث تطرق من خلالها إلى العديد من العلوم والمسائل والمباحث، كما يعد أيضا من العلماء المحققين والمؤرخين الأثبات المدققين خلال العهد العثماني بالجزائر، وقد إكتشفنا في هذا المخطوط أنه من بين المصادر المهمة جدا في التاريخ فقد تطرق المؤلف فيه إلى ذكر جوانب إجتماعية وثقافية بالقيروان بينت لنا المكانة التي حظيت بها المدينة وكيف كانت الحياة الإجتماعية التي تجمع بالمجتمع الواحد وتسيره، وذكر أيضا العادات والتقاليد المنتشرة، أضافة إلى ذكره في هذا المخطوط أهم علماء تلك الفترة والذين ساهموا بشكل كبير في تطوير الحياة الثقافية، ولكن لم يذكر المؤلف في ما يخص الحياة الثقافية المدارس التي كانت موجودة في تلك الفترة، وهذا عكس متناولته مصادر ومراجع أخرى مثل: محمد إبن خوجه، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، حيث ذكر فيها المؤلف مجموعة من المدارس التاريخية في القيروان واهم روادها، اما عن الجانب الاجتماعي فقد كانت معلوماته قليلة نوعا ما فهو لم يتكلم في مخطوطه عن الأسر واهم الاسر التي برزت في تلك الفتره والتي كان قد أشار إليها المؤلف محمد الهادي شريف في كتابه، تاريخ تونس، وأيضا أهم الشعوب التي إستوطنت تونس والتي لم يشر إليها أبي راس الناصري في كتابه عكس ما ذكره المؤلف حسن محمد جوهر، شعوب العالم "تونس" فقد تكلم عن تكوين المجتمع القيرواني، وهم الشعوب التي كونت المجتمع، كما تكلم المؤلف عن العادات الاإجتماعية التي إنتشرت بكثرة مثل: زيارة القبور والأضرحة وغيرها، ولم يتطرق إلى العادات المتعلقة بالإحتفالات الدينية، والحلويات التقليدية إضافة إلى الصناعات بمختلفها وهذا ما وجدناه في كتاب العادات والتقاليد التونسية، لعثمان الكعاك، وعند تمعننا في دراسة هذا المخطوط وجدنا معالم دينية تميزت بها والتي إعتبرت من المعالم الدينية الأثرية ذات القيمة التاريخية الكبيرة

التي جرت إليها العديد من الباحثين أمثال: نجوى عثمان، مساجد القيروان، إضافة إلى إبن دقماق، الإنتصار بواسطة عقد الأمصار، مصطفى صالح، القباب في العمارة الإسلامية، أيضا المؤلف كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، إضافة إلى حسن حسني عبد الوهاب، سباق اليقين في حضارة القيروان وشاعرها إبن رشيف، كل هذه المراجع والمصادر تناولت في مضمونها الجانب العمراني للمعالم الدينية في القيروان، بشكل دقيق في التفاصيل المعمارية المكونة للمسجد، في حين أن المؤلف أبي راس الناصري كان قد ذكر الجامع الأعظم (الزيتونة) من الجانب الثقافي الذي مثله المسجد ولم يكن له ذكر عن الجانب المعماري الذي خص المسجد.

ولكن هذا لا يعني أن الكاتب له نقائص، بل إن هذا الكتاب من بين الكتب التاريخية القيمة كونه يعتبر مصدر هام صور لنا فيه المؤلف تفاصيل الحياة الإجتماعية والثقافية في مدينة القيروان، فضلا عن المعلومات المتعلقة بالعمران والدين الذي عبر عن منزلة القيروان الدينية والثقافية التاريخية والحضارية مما جعلها قبلة للزائرين وموئلا للعلماء والمتقين.

الخـــــاتمـــة

يعتبر كتاب نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان مؤلف هام من تأليف الشيخ العالم المحقق أبي راس محمد بن أحمد الناصري، وتكمن أهمية هذه الرسالة في كونها وثيقة تاريخية هامة للرحلة التي قام بها المؤلف سنة (1793م- 1214هـ)، حيث تحدث فيها عن بعض مآثر المدينة واصفا معالمها ومبينا فضلها وفضل العلماء.

كان أبو رأس من العلماء المحققين والمؤرخين الأثبات خلال العهد العثماني بالجزائر توضح من خلال رحلته التعرف بما كتب حول مدينة القيروان، التي لعبت دورين هامين متمثلين في الجهاد والدعوة في آن واحد وبقيت القيروان لمده قرون عاصمة المسلمين الأولى في إفريقيا والأندلس، وهي مدينة عريقة تمثل مرحلة هامة في التاريخ العربي الإسلامي وتميزت القيروان بأهم العلماء في تلك الفترة وكان لهم دور كبير.

وقد تمثلت في بعض النتائج هي:

_حرص القائد عقبة بن نافع على أن تحمل مدينة القيروان كل عناصر مقومات العمارة الإسلامية وكان من أبرز عناصرها بناء مسجد.

_بقيت مدينة القيروان في دورها وهي تمثل عاصمة لمقر ولاة الخلافة بالمشرق وحاكمها يعد صاحب السيادة في المغرب الإسلامي وهي من الدلائل التي تفسر لنا كثرة الصراع بين ولاة الخلافة وهذا أثر سلبيا على أوضاع مدينة القيروان من حيث الأمن والاستقرار.

_ساهمت مدينة القيروان في قلب وزنها السياسي والحضاري في تحول بلاد المغرب إلى أرض إسلامية (عقيدة، لغة، وحضارة).

_ظلت مدينة القيروان قاعدة للفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب.

_تبين لنا أن القيروان كانت زاخرة بالتابعين الذين درسوا رواية العلوم والسنة فكانوا أداة هامة في نشر الحديث وعلومه في القيروان وكانت لهم آثار اجتماعية و علمية و دينية.

الـخـــــــــاتـمـــة

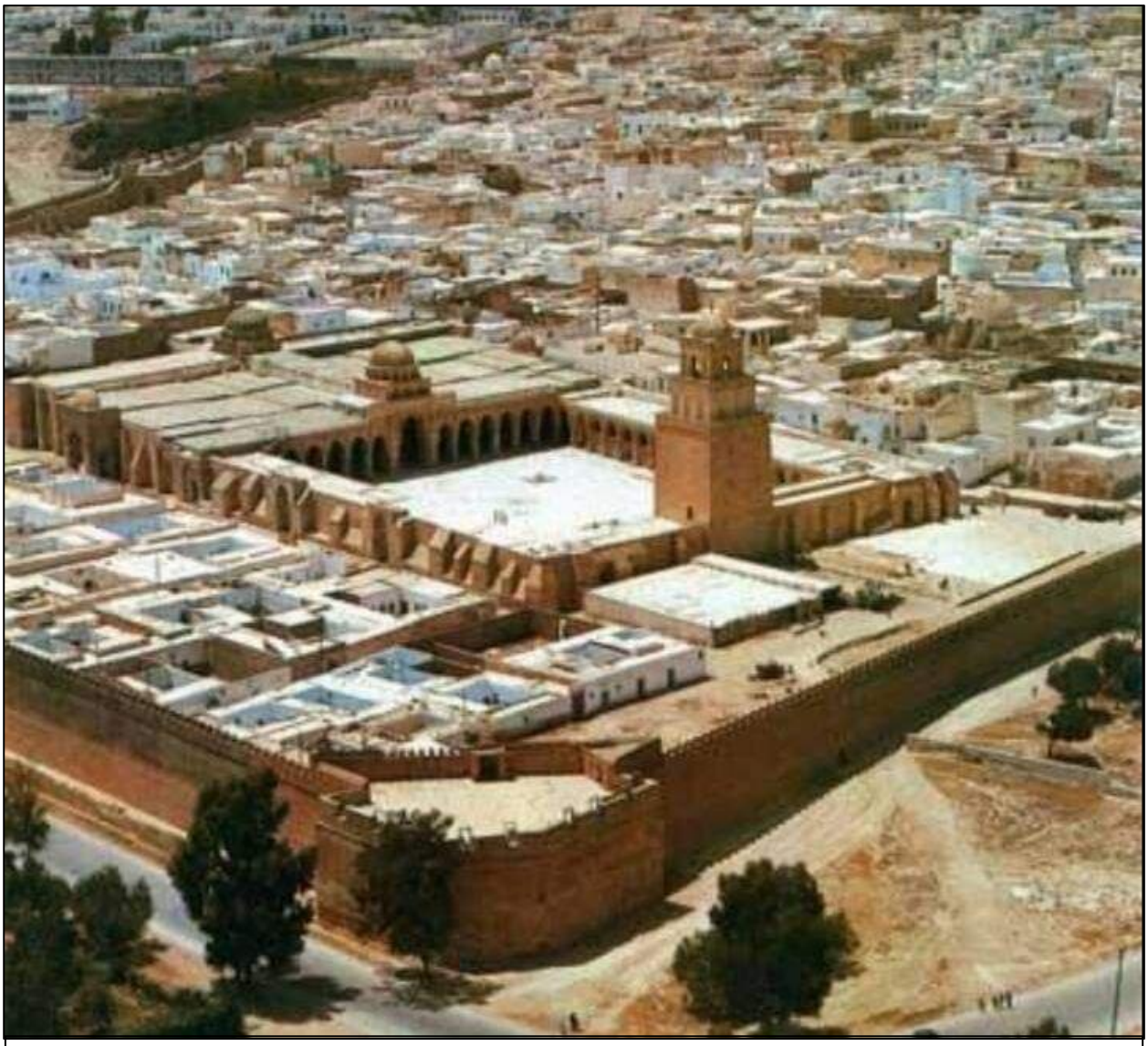
_ولقد شهدت القيروان مختلف أنواع المراكز العلمية وعلي رأسها المساجد والكتاتيب وقصور الرباط ودور العلماء.

_كان المجتمع القيرواني في تلك الفترة مجتمعا طاهرا نظيفا متماسكا.

_تميزت القيروان بأهم العلماء في تلك الفترة وكان لهم دور كبير في شؤون القضاء والتعليم والبناء وكان للعلماء كذلك مكانة كبيرة في الحركة العلمية وفي الحياة العامة.

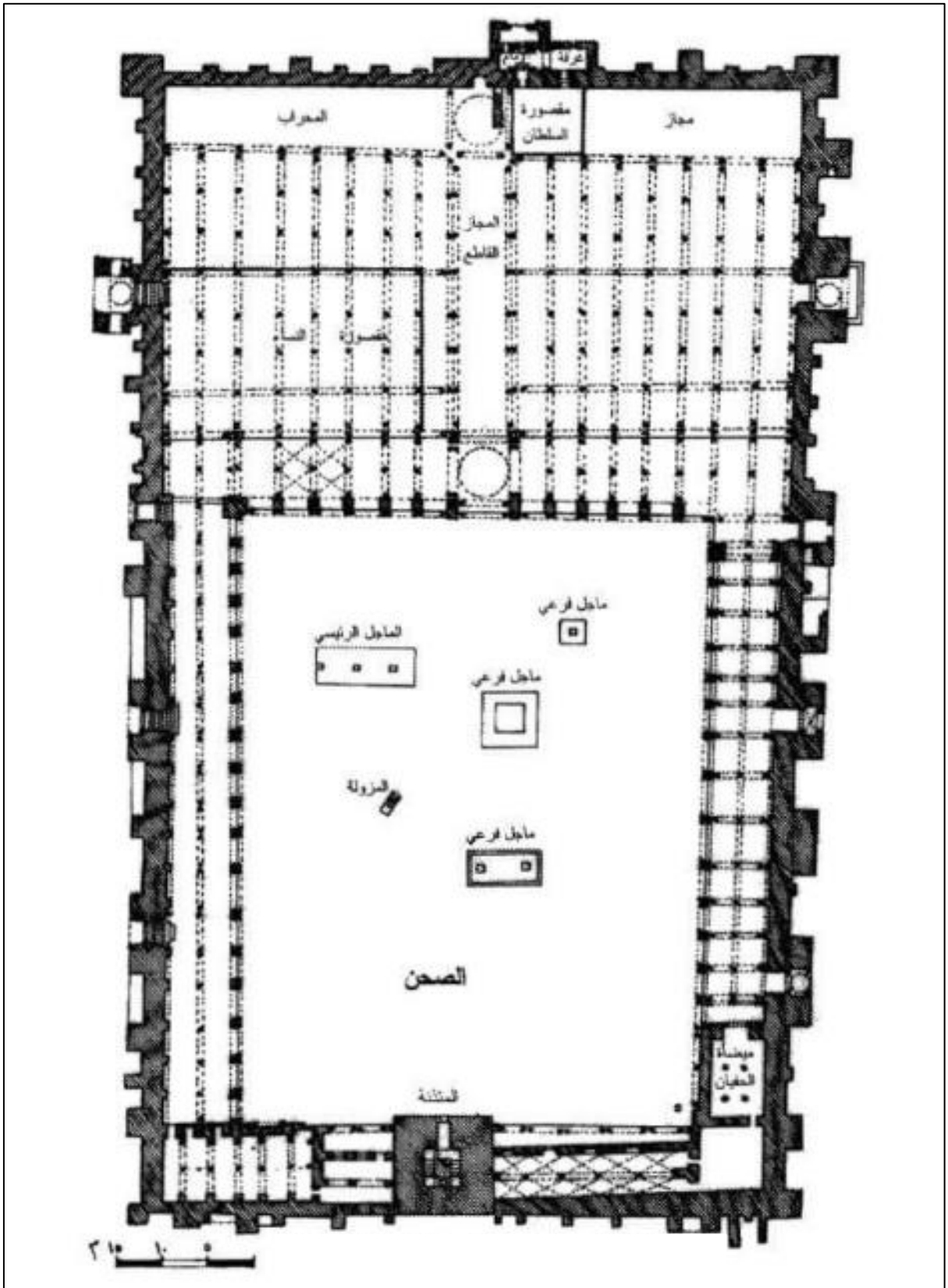
_نشأت في القيروان المكتبات العامة تمثل في مدارس والتي كانت مفتوحة للدارسين وتمثلت في العلوم والمعارف.

قـــائمـة الـمـلاحـــق:



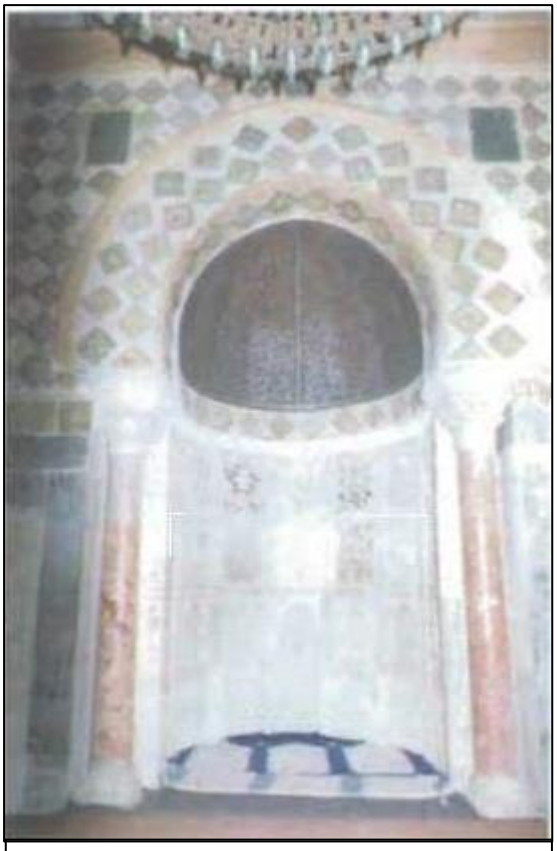
ملحق 01: القيروان

mawsouaa.tn

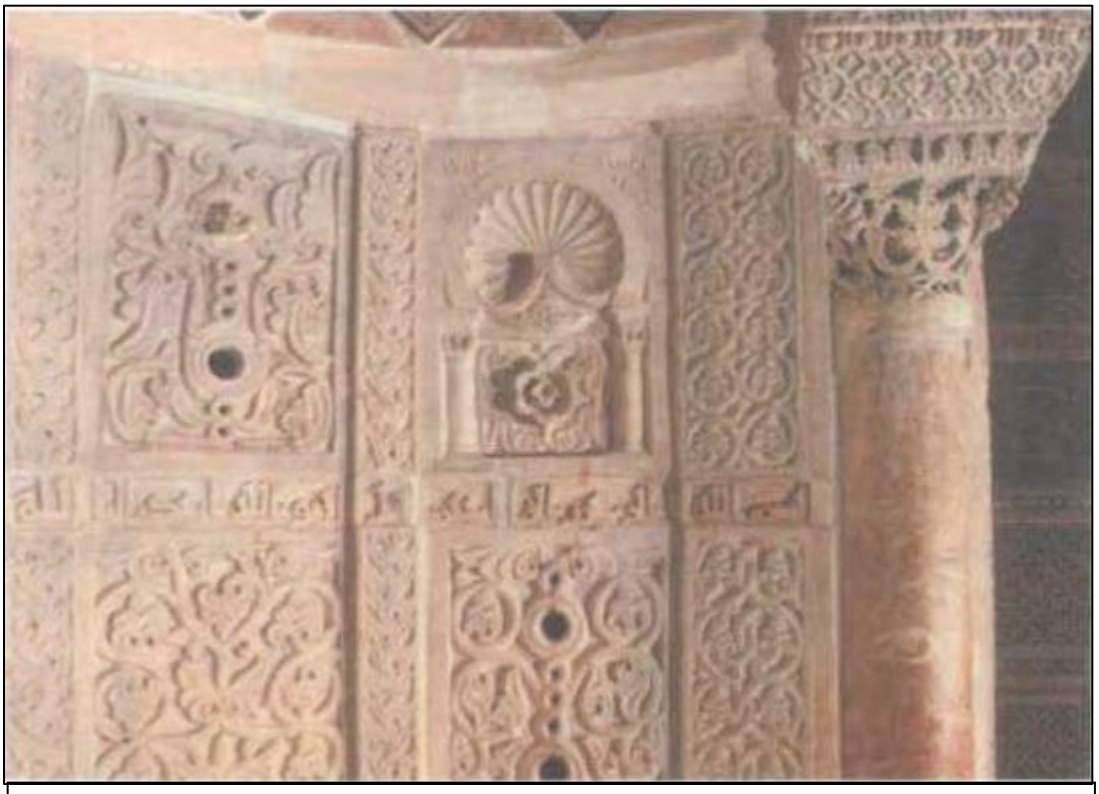


ملحق 02: المسقط الأفقي للجامع الأعظم (عقبة بن نافع).

نجوى عثمان، مساجد القيروان، ط1، دار عكرمة، دمشق، 2000.



ملحق 03: المحراب



ملحق 04: تفصيل جزء من جنبة المحراب و أحد عموديه

نجوى عثمان، المرجع السابق.



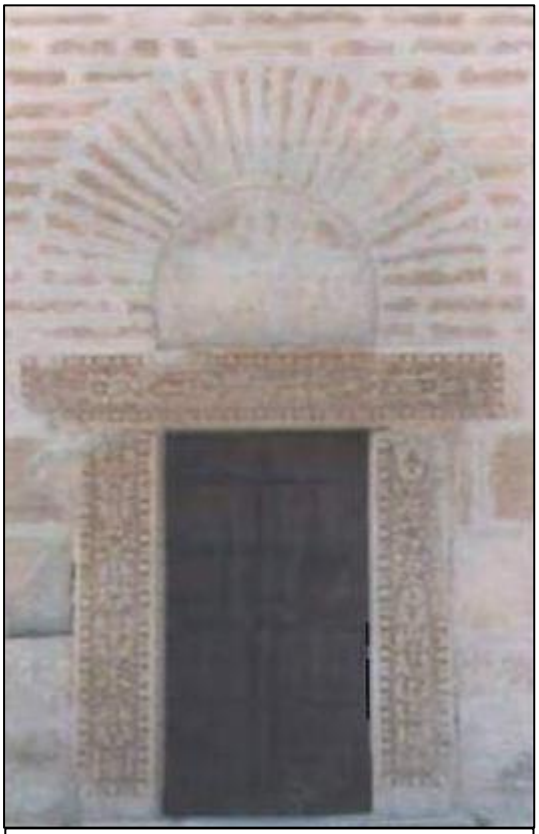
ملحق 05: تفاصيل زخارف المنبر



ملحق 06: المئذنة و الرواق الشمالي



ملحق 07: تفصـيل الجزء العلوي فوق المحراب



ملحق 08: باب المئذنة

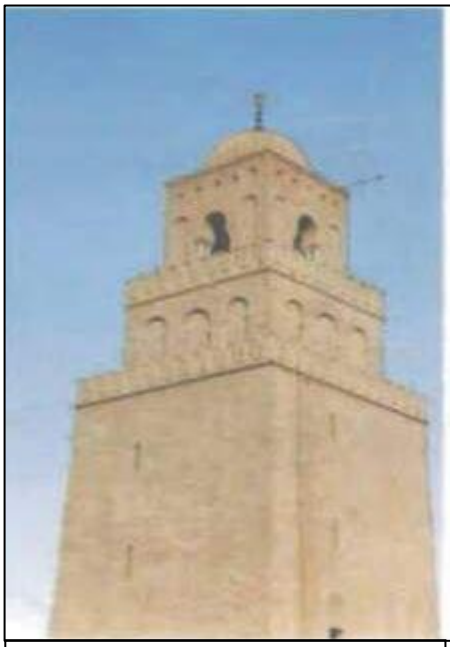


ملحق 09: منظر عـام للمنبر و المقصورة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 10: نجفة ممر المئذنة وسقفه من الداخل



ملحق 11: القسم العلوي من الواجهتين الشمالية و الغربية للمئذنة

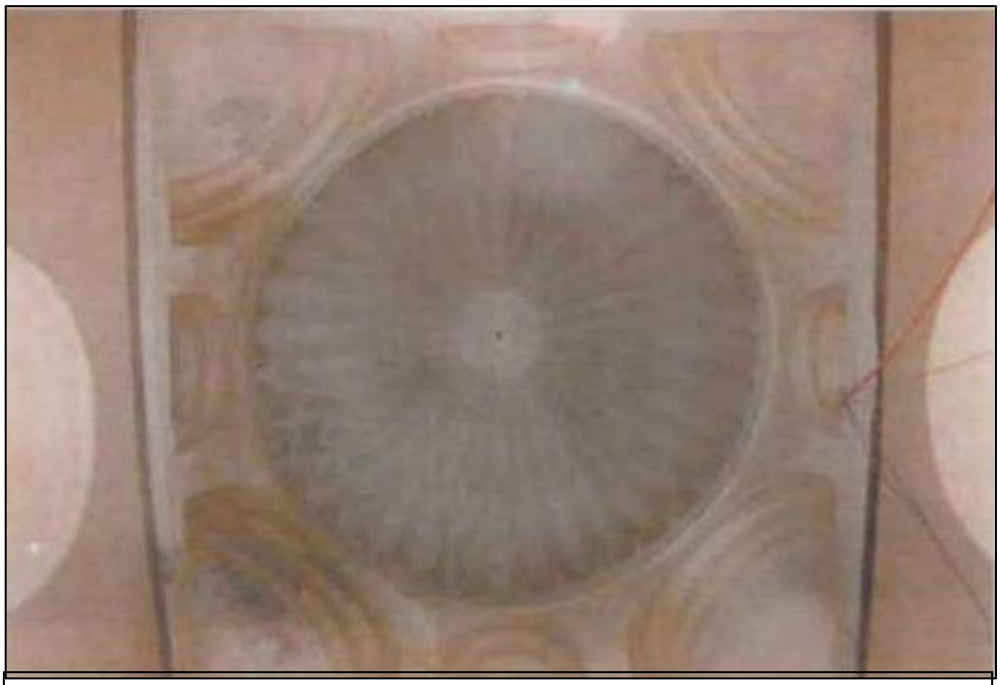


ملحق 12: مرمى سهام في الجدار الغربي من الدور الثاني و السقف

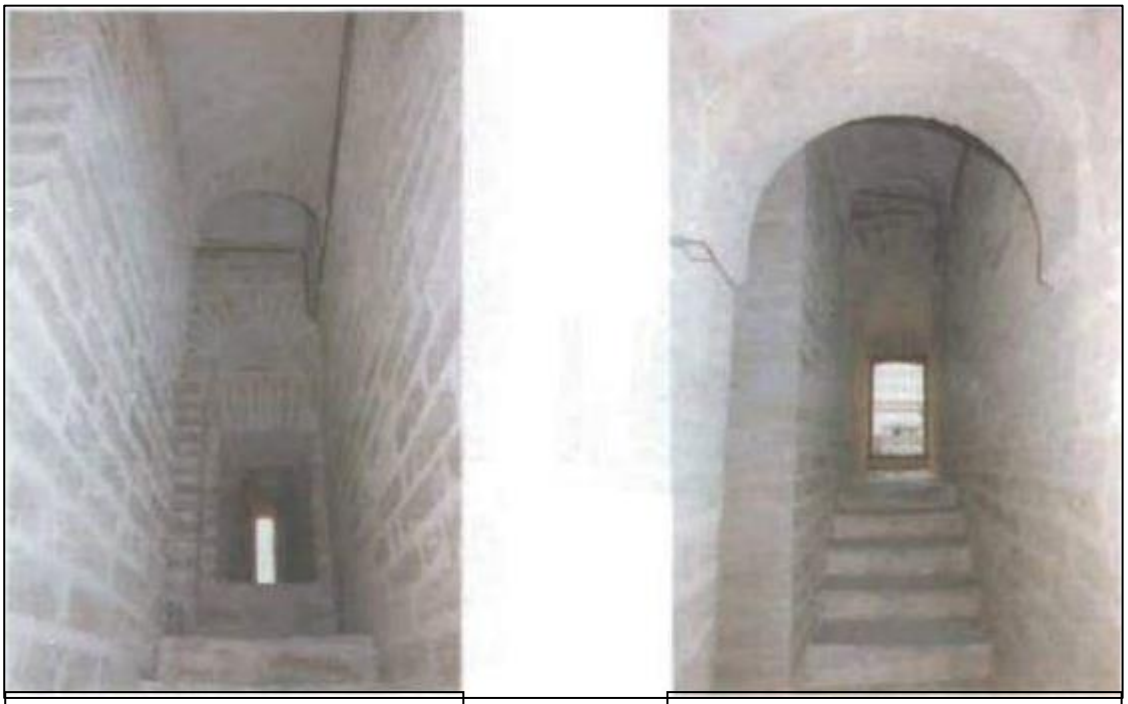


ملحق 13: السقف المستوي الأخير للدور الثاني من المئذنة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



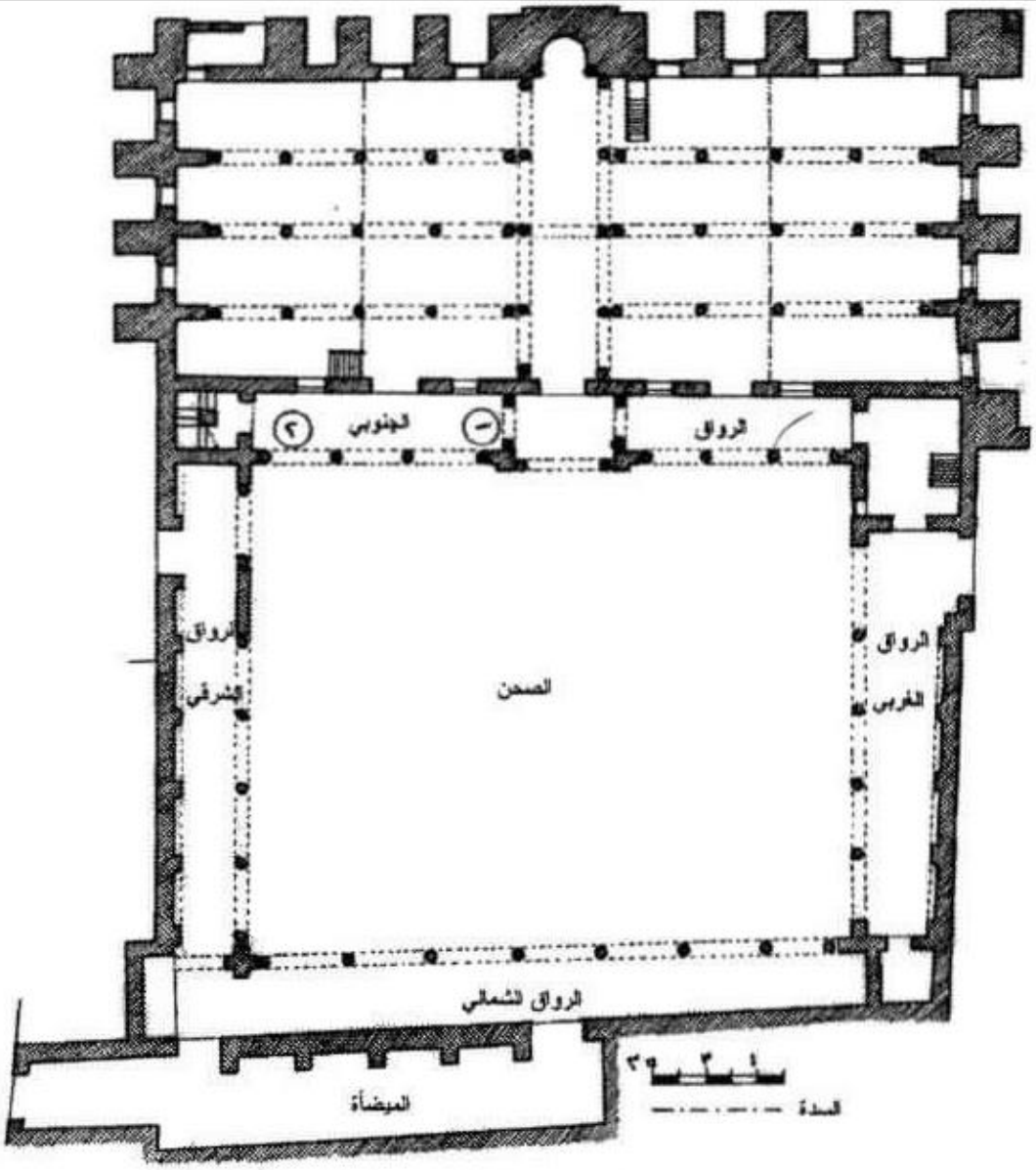
ملحق 14: قبة المئذنة من الداخل



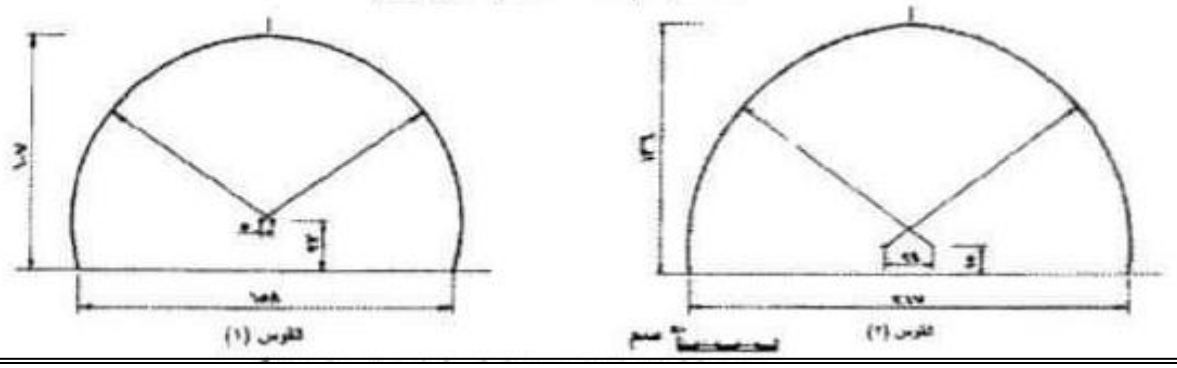
ملحق 15: بـاب إلى ســـطح الرواق الشمالي بإتجاه الغرب

ملحق 16: مرمى السهام العلوي في الدور الأول داخل المئذنة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 17: المسقط الأفقي لجامع الزيتونة



ملحق 18: القوسان (1) و (2) بجامع الزيتونة

نجوى عثمان، المرجع السابق.

ملحق 19:شـــريط كتـابي بسقف جامع الزيتونة



ملحق 20: شـــريط زخرفي بسقف جامع الزيتونة



ملحق 21: شـــريط زخرفي في آخر سقف جامع الزيتونة



ملحق 22: السـقف السـمية الجديد والسدة الشرقية بجامع الزيتونة



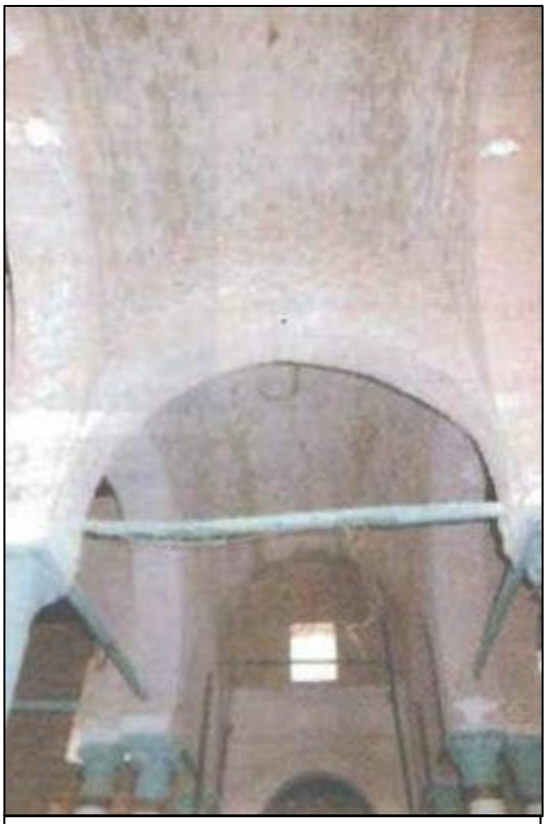
نجوى عثمان، المرجع السابق.

ملحق 23: مئذنةجامع الزيتونة





ملحق 24:محراب جامع الزيتونة



ملحق 25: ســـقف المجـاز القـاطع بجامع الزيتونة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 26: واجهة الرواق الجنوبي بجامع الزيتونة



ملحق 27: قوســان وعمود في واجهة الرواق الجنوبي بجامع الزيتونة

ملحق 28: تفصـيل في أقواس الرواق الجنوبي بجامع الزيتونة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 29: الرواق الشـــرقي بجـامع الزيتونة



ملحق 30: بنـاء دعـامـات و أقواس داخل الرواق الشرقي بجامع الزيتونة



ملحق 31: الرواق الغربي بجـامع الزيتونة

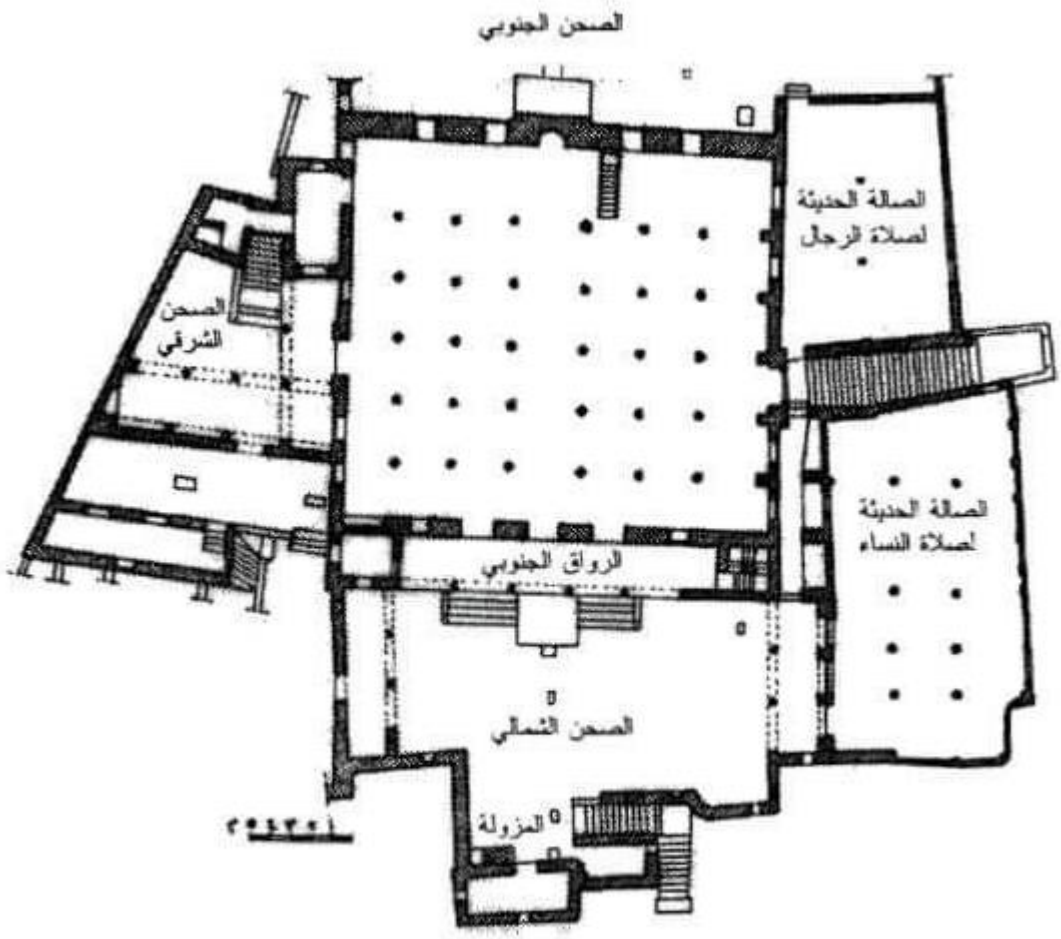


ملحق 32: الواجهة الخارجية الشرقية بجامع الزيتونة



ملحق 33: الواجهتـان الجنوبيـة و الغربية بجامع الزيتونة

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 34: المسقط الأفقي لجامع الباي (الحنفي)

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 35: نافذة عليا في الجدار الجنوبي لجامع الباي



ملحق 36: محراب جامع الباي



ملحق 37: سقف أعواد العرعار والطبقة الداخلية لبقية المحراب بجامع الباي



ملحق 38: القبة فوق المحراب بجامع الباي

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 39: منبر جامع الباي

ملحق 40: جانب من السدة في قبلية جامع الباي

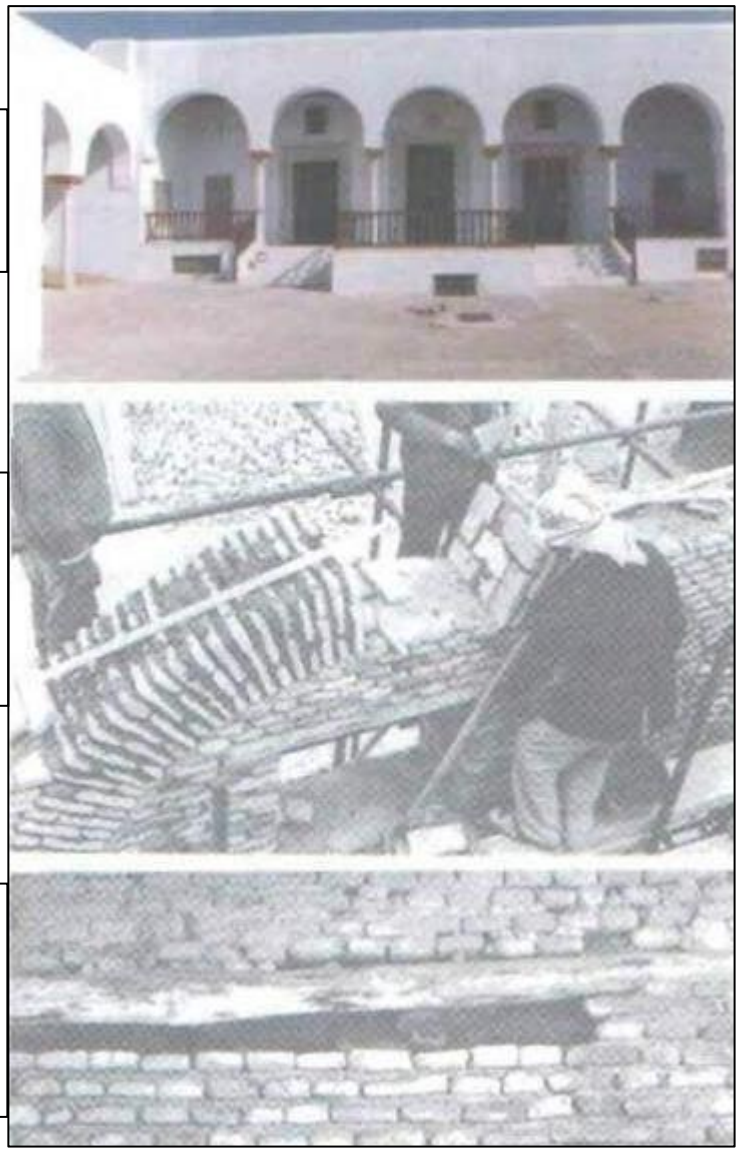


ملحق 41: مئذنة جامع الباي



ملحق 42: درج مئذنة جامع الباي من الأسفل

نجوى عثمان، المرجع السابق.



ملحق 43: الرواق الجنوبي بجامع الباي سنة 1993

ملحق 44: بناء أقواس الرواق الجنوبي بجامع الباي سنة 1985

ملحق 45: خشبات دائرية في جدار الرواق الشرقي بجامع الباي

نجوى عثمان، المرجع السابق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

قائمة المصادر:

_أبو عرب التميمي، طبقات علماء إفريقية وتونس وتقديم تحقيق الشامي و نعيم حسن الباقي، تونس، الدار التونسية للنشر 1968.

_أبو أكبر عبد الله محمد مالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وأخبارهم وأوصافهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

_إبن دقماق، الإنتصار بواسطة عقد الأمصار، د- ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1893، القسم الأول.

_أبي عبد الله محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط1، الدولة التونسية بخاصرتها المحمية، تونس 1287.

_النويري، نهاية الإرب عن فتح العرب للمغرب وأوردها غيره مع عدم ذكر إسلام البربر وبصورة قريبة منها أو العرب، طبقات الدبان معالم الإيمان ج1.

_ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد السابع من عشرة مجلدات.

قائمة المارجع:

_أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف.

_أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان، رحمة الأمة في إختلاف الائمة، د- ط، قطر 1401هـ / 1981م.

_الحسن بن محمد شواط ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية المكتب الإسلامي، الجزء الثاني 1411.

_حسن محمد جوهر، شعوب العالم تونس، د– ط، دار المعارف 1961، مصر.

_حسن حسني عبد الوهاب، ورقات في تاريخ الحضارة العربية الإفريقية ، د– ط، الدار التونسية للنشر 1987، تونس.

_عبد العزيز سالم، المآذن المغربية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

_عبد العزيز أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم عبد الواحد الباقي المعروف بإبن الأثير، الظهر كتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3.

_مصطفى صالح، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

_محمد الهادي شريف، تاريخ تونس، ط1، دار سراس للنشر، تونس 1993.

_نجوى عثمان، مساجد القيروان، ط1، دار عكرمة، دمشق.

_كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، ط1، الملتقى المصري الإبداع والتنمية، مصر.

المقالات العلمية:

_إبن سريدين، الصناعات التقليدية ودورها التنموي، صناعة الشاشية بتونس أنموذجا، المنظومة ،العدد 37، جمعية شيحة 2007

_صدام حمزة، المدرسة الطبية القيروانية وبصمتها في الطب الحديث، دار المنظومة، جامعة الزيتونة، مركز الدراسات الإسلامية ،2009

مذكرات:

_ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1117هـ /1705م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة غردايه 2013.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الشكر والعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

المقدمة 1-6

* المبحث الأول: مدخل تمهيدي 7

التعريف بأبي ارس الناصري 8

تعليمه ورحلاته 9

قائمة بأسماء مؤلفات الشيخ محمد أبي راس الناصري 10-14

التعريف بالكتاب 14

أهم عناصر الكتاب 14

الوصف الخارجي للكتاب 15

محتوى الكتاب 16

أهم المصادر والمراجع التي إعتمد عليها الكاتب 16

* المبحث الثاني: نص الرحلة من وجهة نظر الكاتب 18

تعريف مدينة القيروان 19

الأسباب التي دفعت عقبة لتأسيس القيروان 19

الموضوع	الصفحة
أهمية مكان مدينة القيروان	26
أهم علماء مدينة القيروان	28
إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر القريشي (مولاهم)	28
بكر بن سوادة الجذامي "أبو تمامة"	28
عبد الرحمن بن رافع التنوفي	29
إسماعيل بن عبيد مولى الأنصاري	30
سحنون بن سعيد بن حبيب التنوفي، أبو سعيد الإمام.	31
المدارس التعليمية	33
المدرسة الطبية القيروانية وبصمتها في الطب الحديث	33
المدرسة الشماعية	36
المدرسة الحسينية الصغرى	38
المدرسة التوفيقية	39
* المبحث الثالث: تكوين المجتمع	40
اليهود	43
قبائل البربر الخلص	44
الطوارق	46

الموضوع	الصفحة
الأسرة المالكة: الحسينيون	47
حسين بن علي	47
علي باشا	48
علي باي	49
حمودة باي	49
العادات والتقاليد	50
صناعة الشاشية	52
* المبحث الرابع: المعالم الدينية	54
جامع عقبة بن نافع	60-55
جامع الزيتونة	64-60
جامع الباي	67-64
الخاتمة	72-70
قائمة الملاحق	88-73
قائمة المصادر و المراجع	91-89
فهرس المحتويات	95-92